

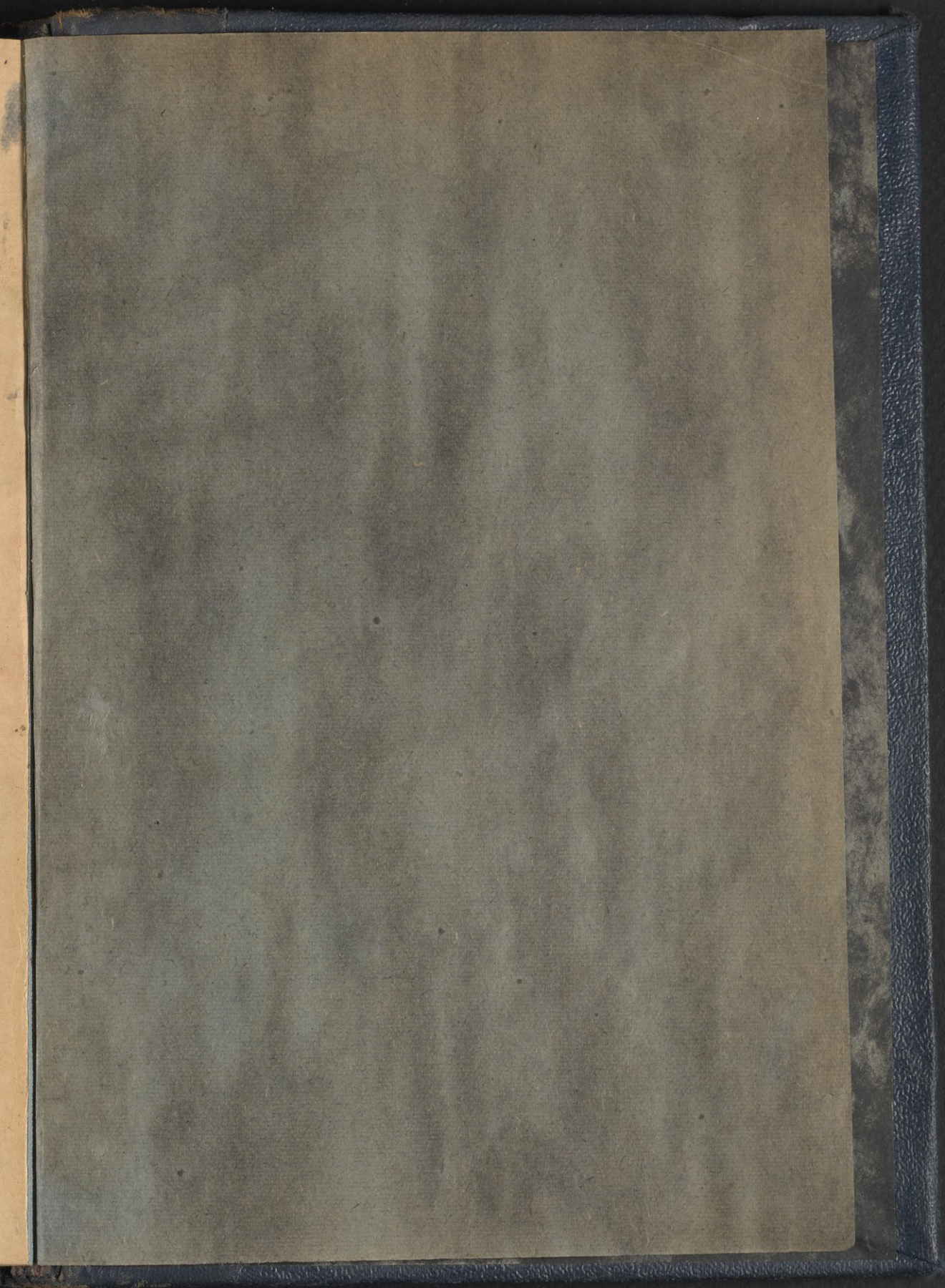
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01000 8195







نشأة التدوين النحوي

عند العرب

D
198.2
N 37

تأليف

حسين نصار

ماجستير في الآداب

ملتزمة النشر والطبع

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع مدني، القاهرة

04-134820

9.7, c
ن. ک. ر.

00224

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

التاريخ : تعريف الوقت ، والتورخ مثله ، أرخ الكتاب ليوم كذا :
وقته ، والواو فيه لغة . وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة (١) . وقد
اختلف العلماء في أصل هذا اللفظ ، فذهب بعضهم به إلى العربية الخالصة ،
فقال : إن التاريخ مأخوذ من لفظ الأرخ ، بمعنى ولد البقرة الصغير ، لأنه
يشبه الشيء الحادث كما يحدث الولد ، فهو حدث جديد (٢) . وعزاه بعضهم
الآخر إلى الفارسية ، فقال : إنه مأخوذ من «ماه روز» بمعنى «يوم الشهر»
فعرّبوها وقالوا «مؤرخ» وجعلوا المصدر منها التاريخ (٣) . وهو اشتقاق بعيد
لا يظهر فيه تقارب بين اللفظين العربي والفارسي . ويتصل هذا القول
— دون شك — بالخبر القائل بأن المسلمين تأثروا بالفرس في أخذهم تاريخ
الهجرة تقويماً لهم ، إذ أشار الهرمزان الفارسي على عمر بن الخطاب بذلك (٤)
ولكننا نرجح الرأي القائل بعربية الكلمة ، وإن كنا لا نشاركهم في أنها
مأخوذة من الأرخ ، وإنما هي كلمة عربية قديمة مشتركة في اللغات السامية ،
تلوح القرابة بينها وبين كلمة «يارخ» التي معناها «القمر» والتي معناها

(١) لسان العرب : مادة «أرخ» .

(٢) المصدر السابق .

(٣) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٩ ، والخوازمي : مفاتيح العلوم ص ٧٩ .

(٤) نفس المرجعين .

أيضاً « الشهر » في العبرية (١) . ومن المعروف أن الساميين كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس ، ولذلك كانوا يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام ، كما هو الحال في التقويم الهجري الآن . وعلى هذا الرأي نرى أن معنى كلمة « التاريخ » في مبدء أمرها كان « تحديد الشهر » ثم اتسع فصار التوقيت العام ، أى تحديد عهد أى حادث من الحوادث . ولا زالت اللغة في تطورها حتى شمل هذا اللفظ رواية الحادث نفسه من جهة وتحديدته من جهة أخرى ، وكانت هذه الخطوة الأخيرة في سبيل بزوغ كلمة التاريخ بالمعنى الاصطلاحي المعروف .

وأطلق لفظ التاريخ في عهده الأخير على عدة معانٍ متقاربة . فهو بمعنى التاريخ العام ، أى تسجيل أهم الحوادث كما يظهر في تاريخ الطبرى قبل الإسلام والكتب الأخرى ؛ وهو بمعنى الحوليات ، أى تدوين الحوادث عاماً فعاماً مثل تاريخ الطبرى بعد الإسلام وتاريخ ابن الأثير وغيرهما ؛ وهو بمعنى تدوين الأخبار مرتبة بحسب العصور ، مثل سيرة معاوية وبنى أمية لعوانة ابن الحكم ؛ وهو بمعنى التراجم ، كما نرى في كتاب « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » لابن القفطى ومعجم ابن خلكان وغيرهما . وأطلق أيضاً على مصنفات تختلف عن المصنفات التاريخية اختلافاً كبيراً ، مثل « تاريخ الهند » للبيرونى ، إذ هو أقرب إلى مصنفات البحوث العقلية منه إلى المصنفات التاريخية . ويعنى إلى جانب كل هذه المعانى ، المعنى اللغوى الأول ، أعنى تحديد بداية الأخبار الخاصة بعصر من العصور ، أو حساب الأزمان وحصرها ، أو تحديد زمن الحوادث تحديداً دقيقاً .

(١) جب : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « تاريخ » .

الفصل الأول

التدوين التاريخي

العصر الجاهلي :

إذا أجهدنا أنفسنا باحثين عن أى نوع من الكتابة التاريخية في العصر الجاهلي ، لم نكد نظفر بشيء ، حتى البلدان المتحضرة التي كنا نظن أنها تحرص على تسجيل حياتها ورقها ، مثل اليمن والحيرة وغسان ، لم يصل إلينا منها كتب تاريخية أيضاً . وكان تاريخها نسياً منسياً لدى العرب ، سكانها أو غير سكانها ولذلك دخلت عليهم الأباطيل والخرافات عندما أرادوا الكتابة عنها بعد ظهور الإسلام ، وحلق بهم الخيال في الأجواء ، حتى ما نستطيع أن نركن إلى حقيقة مما يقولون ، على الرغم من النقوش الموجودة حتى اليوم على الآثار الباقية في اليمن وشمال بلاد الحجاز وجنوبي الشام ، مما يدل على جهل المؤرخين العرب بالخط الحبري والخطوط الأخرى في بلاد العرب القديمة . والشئ الوحيد الذي نسمع عنه هو تلك المدونات التاريخية ، المودعة في أديار الحيرة وكنائسها والتي اطلع عليها السكبي فيما بعد ، وإن كنا لا نعرف عنها شيئاً فيما عدا ذلك (١) .

ولا يمكننا الركون كثيراً إلى الوثائق التي تروى في كتب التاريخ الإسلامية عن هذا العصر ، وإنما تقابلها بالشك الشديد ، الذي تثيره فينا ظروف هذه الوثائق . ومثالها الواضح تلك الوثيقة التي يذكرها أبو حنيفة الدينوري في تاريخه أن عمر بن إبراهيم من وفد أبرهة بن الصباح آخر ملوك اليمن أرسلها إلى الكرماني حسب طلب الأخير^(١) . وكانت هذه الوثيقة عبارة عن حلف عقد بين ربيعة واليمن أمام تبع بن ملكيكرب ، وعبارتها مسجوعة ، وفيها عدة إشارات إلى ضروب النسك الوثني ، وإن كانت تبدأ بعبارة إسلامية تقول : « بسم الله العلي الأعظم ، المجد المنعم » وتنتهي بذكر الله وشهادته على الحلف ، كما كان يفعل المسلمون ، إذ تقول : « وشهد الله الأجل ، الذي ما شاء فعل » . حين يقع نظر المرء وعلى الرسالة يغمره الشك فيها من جميع الأنحاء .

الأبام :

ولكن العرب - على الرغم من كل ذلك - عرفت نوعاً من التاريخ الشفهي ، فقد كانت القبائل تروى أيامها : حروبها وانتصاراتها ، لتفخر بها على القبائل الأخرى ، سواء كان ذلك شعراً خالصاً أو نثراً تتخلله الأشعار . ولم تكن الصلة واحدة دواماً بين الشعر والنثر في الأخبار ، فأحياناً يكون النثر شرحاً للقصيدة ، وأحياناً يكون الشعر مرتجلاً على لسان أحد أبطال الخبر دون أن تربطه صلة بالخبر المنشور . وكان الشعر في كلتا الحالتين هو الذي يحافظ على تناقل الخبر وانتشاره . فلما نسيت هذه الأشعار نسيت

(١) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري : الأخبار الطوال ٣٥٢ .

الروايات القديمة ، وابتكرت أشعار جديدة للتنويه بآثر القبيلة من أفعال
مجيدة . وعلى الرغم من كل ذلك نستطيع أن نطمئن إليها بعض الاطمئنان ،
إذ لا بد أنها تقوم على أساس واقعي ، وإن اصطبغت بالتحيز والمغالاة .

الرواسب :

وكانت كل قبيلة تحفظ نسبها ، وتحفظه أبناءها ، لتظل نقية بعيدة عن
الشوائب ، ولتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى ، وسيكون لهذا
الفرع من التاريخ مكانته بعد الإسلام .

وهكذا وجدت هذه القصص التاريخية المصبوغة بالخرافات والأساطير
لدى القبائل ، وكانت كل قبيلة تعنى بما تعتبره تاريخها ، وترويه لأجيالها
القادمة . ولكن عرب الشمال لم يصلوا بعد إلى تاريخ عام لهم يشمل كل
قبائلهم ، إذ لم يكونوا قد أدركوا معنى الوطن ، ولم تكن الظروف قد وحدتهم
في أمة واحدة .

تاريخ الأمم المجاورة :

وعرف العرب بعض أخبار من جاورهم من الأمم ، مثل الفرس
والرومان ، حتى يقال إن النضر بن الحارث كان ينافس الرسول عليه الصلاة
والسلام ، ويدل عليه بمعارفه عن الفرس . ولكن ذلك التاريخ كان قصصاً
وخرافات ، لا تختلف عن قصصهم وخرافاتهم عن عرب الجنوب والشمال في
أغلب الظن .

ظهور الإسلام :

بعد الإسلام انتشرت في المملكة الإسلامية في هذا العهد حركة تاريخية أخذت تتسع وتتنظم شيئاً فشيئاً حتى خلفت لنا ثروة أدبية من أغنى ثروات الأدب العربي . وكانت أهم العوامل التي بعثت تلك الحركة هي :

١ — احتاج المسلمون في تفسير الآيات القرآنية إلى معرفة مناسباتها ، أغنى سبب نزولها ، والموضع الذي نزلت فيه ، والحادثة التي تشير إليها ، وما إلى ذلك مما يسمى ما حول النص . ومن الواضح أن معرفة هذه الأشياء تحتاج إلى بحث تاريخي في حوادث الإسلام . وهكذا كان التفسير من العوامل التي دعت إلى التدوين التاريخي .

وقد أكثر القرآن أيضاً من الإشارات إلى الأمم والقبائل والأنبياء في قصصه عن الغابرين ، فرغب علماء المسلمين في فهم هذه الإشارات وتوضيحها . وكان الإسلام قد أظل كثيراً من اليهود والنصارى . فلجأ إليهم المسلمون ليعرفوهم بتلك الإشارات . فأخذ هؤلاء يحدثونهم بقصص التوراة والإنجيل وشروحهما ، فربطها المسلمون بالتفسير والتاريخ ، واشتهرت هذه الأخبار في العليين باسم « الإسرائيليات » . ويتمثل لنا ذلك في كعب الأخبار (المتوفى عام ٣٤ هـ) ووهب بن منبه (المتوفى عام ١١٠ هـ) . ولا تزال آثاره في كتب التاريخ والتفسير التي وصلت إلينا .

٢ — كان الحديث أيضاً من عوامل تدوين التاريخ ، إذ عني المسلمون بجمع الأحاديث ليفسروا بها القرآن ، ويستنبطوا منها أحكام الدين . وكان من هذه الأحاديث جملة وافرة تتعلق بحياة النواصبياء ، فجمعت

فيما جمع ، وكانت أساس كتب السيرة والمغازي فيما بعد .

٣ - شعر بعض الخلفاء أنهم محتاجون إلى نبراس يهتدون بهديه في سلوكهم ، إذ لم يكن لهم تراث عربي يقتدون به ، كما أنهم رأوا ممالك أجنبية بهرتهم حضارتها ، فأحبوا أن يعرفوا كيفية سياستها ونظامها . فقد كثرت المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى هدمت نظام الخلافة وأقامت نظام الملك . وواجه العقل العربي ، الذي كان ساذجاً في جاهليته ، مشكلات حقيقية ، منها ما يمس الدين والحضارة ، ومنها ما يمس الحياة العادية والاجتماعية فرأى ألا بد من الاستعانة بأخبار من سبقه ليستنير بها . روى المسعودي (١) عن معاوية أنه كان بعد أن يفرغ من عمله « يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها ، والعجم وملوكها ، وسياساتها لرعيها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ... ثم يدخل فينام ثلث الليل ، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها ، والحروب والمساكيد ، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها . فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات » .

٤ - كان الأجانب الذين أظلمهم الإسلام يفخرون على العرب بتاريخهم وحضارتهم ويروون لهم أفعالهم الحميدة في ماضيهم . فاضطر العرب إلى ابتكار تاريخ لهم يستطيعون به الوقوف بإزاء هذا الفخر الأجنبي ، ويظهرون لأبنائهم وغيرهم من الأمم أنهم ، وإن كانوا حديثي عهد بالحضارة ، ليسوا

(١) المسعودي : مروج الذهب ٢ : ٥٢ .

أقل من الأمم الأخرى مجداً ومكانة . وكان هذا من دواعي ظهور الكتابة التاريخية في الأمة اليونانية أيضاً .

٥ — كان نظام الحكومة الإسلامية ، وخاصة النظام المالي ، من العوامل التي أدت إلى قيام الحركة التاريخية وانتشارها ، لأن الضرائب (الخراج) على البلدان المختلفة تتباين حسب فتحها صلحاً أو عنوة أو بعهد . وكانت المعاملة السياسية والاجتماعية نفسها تختلف في بعض البلدان تبعاً لما حدث في أثناء فتحها . فدعا كل ذلك ، والنظام المالي خاصة ، إلى بحث تاريخ الفتوح ، والاهتمام بهذا الفرع من التاريخ .

ودعا النظام المالي إلى نشوء فرع آخر من التاريخ ، وكان ذلك لأن نظام العطاء تغير منذ عهد عمر ، فصار بحسب الأسبقية إلى الإسلام ، أي أن الذين أسلموا في أول الدعوة يأخذون من العطاء أكثر مما يأخذ من أسلم بعدهم ، ومن أسلم وهاجر يأخذ أكثر من المسلم بعد الهجرة ، ومن أسلم وشهد بدرأ يأخذ أكثر مما يأخذ من لم يشهدها من الذين أسلموا بعدها ، وهلم جرا . وكان هذا النظام سبباً في البحث الدقيق في الدعوة الإسلامية وانتشارها . كما كان العطاء مرتباً أيضاً بحسب الأنساب ، أي يبدأ بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب ، ثم قرابة أبي بكر ثم عمر وهكذا في الأنصار وفي جميع المسلمين . ومن الواضح أن هذا النظام يدعو إلى البحث في الأنساب ، وظهور هذا النوع من التاريخ ، وظهور كتب الطبقات أيضاً .

٦ — ابتدأت حركة التأليف في العلوم الأخرى المعروفة بين العرب في

ذلك الوقت ، حتى إننا نجد صحارا العبدى يؤلف كتاباً فى الأمثال . ثم يتطور الأمر بمرور الزمن ، فيقال : إن بعض كتب الكيمياء ترجمت فى عهد خالد ابن يزيد بن معاوية ، ويأمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث ، وترجمة كتاب فى الطب . ويقول بعض الرواة إن عروة بن الزبير أحرق بعض كتب ألفها فى الفقه فى يوم الحرة ^(١) . كل هذه الحركة التأليفية تدل على أن العقل العربى كان يعانى تحولا خطيراً ، وأنه أخذ فى التمدن السريع ، والمشاركة فى التدوين والتأليف .

٧ — وآخر الأمر لا ننسى استمرار ما كان فى الجاهلية من عناية بالأنساب والأيام ، ازدادت فى العهد الإسلامى ، لأنها تغذى الشعراء فى ميدان الفخر والمجاء والنقائض التى شاعت فى هذا العصر ، وكان لها المقام الأول فى شعر الفحول . واتخذ هذا النوع من التاريخ لوناً جديداً أيضاً ، هو العناية بغزوات الرسول . فما كان ذلك النوع من التاريخ إلا استمراراً لما عهد عند الجاهليين إلا أن الإسلاميين دونوا والجاهليين حفظوا ورووا .

(١) ابن حجر : تهذيب التهذيب ٧ : ١٨٣ .

الفصل الثاني

المؤرخون وكتبهم

الكتاب الأول :

اجتمعت العوامل السابقة فأشعلت الروح التاريخي في المسلمين ، فأخذوا ينظرون في هذا الفن ، باحثين منقبين ، وشرعوا يروون الأخبار التي يستطيعون الوصول إليها . ولكننا لا نلبث أن نرى هذه الأخبار الشفوية تدون في عهد معاوية في رسائل صغيرة تسمى كتباً . وكان هذا تحولا خطيرا يشر بما سيتلوه من تقدم ورق في الدراسة التاريخية . ولا ندرى بالتحقيق ما أول كتاب ظهر في التاريخ عند العرب . ولكن يتنازع الأسبقية زياد بن أبيه (المتوفى عام ٥٣ هـ) ودغفل النسابة البكري (المتوفى عام ٦٠ هـ) ، وعبد الله بن عباس (المتوفى عام ٦٨ هـ) وعبيد بن شربة الجرهمي (المتوفى عام ٧٠ هـ تقريبا) .

زياد بن أبيه :

أما زياد بن أبيه فقد ألف كتابا في مثالب العرب ^(١) . ولا يدهشنا ذلك

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

كثيرا ، إذ نعرف قصة نسب زياد ، واستلحاق معاوية إياه ، وكراهية المسلمين لذلك ، بل سخرية بعض الشعراء من هذا الاستلحاق . ولذلك أراد زياد أن يزود نفسه وأبناءه بسلاح يخيف به المتعرضين له ، ويشعره بعدم نقصه ، بل بنقص الآخرين في هذه الناحية . ولذلك أرجح أنه كتب في الأنساب خاصة ، وأنه ألفه بعد استلحاق معاوية إياه ، وتغيير الناس له . ويؤسفنا أن هذا الكتاب فقد ، ولم يبق لنا منه شيء ، وإن كنا نرجح أن كتب الأنساب والشعوبيين المتأخرين أخذت عنه .

دغفل النسابة البكرى :

أما كتاب دغفل النسابة فمجالس وأسمار ، في بلاط الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، الذي كان محباً للمسامرة وأحاديث من مضي . ويسمى هذا الكتاب « التظافر والتناصر » . ويروى كتاب التحفة البهية ، والطرفة الشبية » (ص ٣٨) المجلس الثامن عشر منه فيقول : « ذكر في كتاب التظافر والتناصر ، وهو مجالس دغفل النسابة البكرى عند معاوية ، وأنه سأله في في الثامن عشر من مجالسه ، فقال : « من أبلغ العرب في ثنائه ؟ » فقال دغفل : « ذاك النابغة الذبياني حين دخل على الحارث بن أبي شمر الغساني يطلب إليه في أسارى قومه ، فقال : « ألا أنعم صباحا أيها الملك المبارك ، السماء غطاؤك ، والأرض وطائك ، وولدى فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكمة وزرائك ، والعلماء جلساؤك ، والعقلاء إخوانك والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ، والبر

وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحياء
بطانتك ، والعلاء غايتك ، وأكرم الأحياء أحباؤك ، وأشرف الأجداد
أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال
أحوالك ، وأعف النساء حلائلك ... » .

ونحن إذا بحثنا هذا القول ، ولم نذهب بدون تحقيق مع ابن النديم الذي
ينص على أنه لم يصنف شيئا ^(١) ، لانستطيع أن نأخذ هذا المجلس حقيقة لاشك
فيها . فإننا نرى الكلام ملازما للسمع ، وفيه أشياء منافية لذلك العصر ، ولم نعتد
العشور عليها فيه ، كما نرى فيه نزعة إسلامية تسير مع قول القائلين بالتبشير
بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره . ونحن إذا لم نشك في هذه النبوة ،
فإننا نشك في نبوة النابغة بإسلام الحارث . وإنه لم يسلم فعلا ، وما أظن أنه
كان يعد الإسلام خيرا له ، في عصره ذلك . ولكن هذا المجلس على كل حال
يبين لنا أن كتاب « التظافر والتناصر » ، إن كان وجد على الإطلاق ، كان
يعالج التاريخ الأدبي ، ويبين مقدار عنايتهم بالسمر ، وأثر هذا السمر في
تجويد العبارة وتحسينها .

ابن عباس :

أما ابن عباس فقد نسب إليه بعض الرواة ^(٢) مدونات استقى منها من
بعده من المؤرخين . ولا يذكرون أن ابن عباس جعل من هذه المدونات

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

(٢) ابن سعد الطبقات ٥ : ٢١٦ .

كتاباً خاصاً أعطاه اسماً معيناً . وهى فى غالب الظن بعض مجالسه التى كان يفسر فيها القرآن ، ويتعرض لمختلف المعارف العربية ، دونها أحدث تلاميذه أو أبنائه . ونحن لا نستطيع أن نتكلم عنها أكثر من ذلك ، لأن ابن عباس من الذين حمل عليهم كثير من الأخبار فى كل فن .

عبيد بن شريّة :

انتجت مجالس معاوية الكتاب الرابع أيضاً ، إذ أشار عليه عمرو بن العاص ، لما رآه فيه من حب المسامرة والأخبار السالفة ، باستدعاء عبيد وسؤاله عن الأخبار المتقدمة ، فأخضره واتخذ ميمراً له وأمر كتابه بتدوين أحاديثه ونسبتها إليه ، فدونت تحت عنوان « كتاب الملوك وأخبار الماضين » ، كما يقول صاحب الفهرست^(١) . وقد طبع الجزء الذى وجد من الكتاب فى حيدر آباد باسم « أخبار عبيد بن شريّة الجرمي فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » . ولا يزعجنا هذا الاختلاف كثيراً ، لأن عبيداً نفسه لم يدونه ، ولا عنوانه ، وإنما دونه كتاب معاوية ، ونسبوه إليه دون عنوانه ، كما يبدو ، ومن ثم اختلف النساخ فى عنوانه . ولا يبعد أن يكون لهذا الاختلاف أسباب أخرى غابت عنا . ويؤكد لنا العنوان نفسه أنه من وضع أناس غير عبيد ، إذ تقول النسخة المطبوعة « أخبار عبيد بن شريّة الجرمي فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال والحمد لله على كل حال » فتصرّحه

(١) ابن النديم : الفهرست ٨٩ .

باسم عبيد ، وقوله « على الوفاء والكمال » ، قد يشعان بأن هذه العبارة كلها من كتابة شخص آخر غير المؤلف .

وحين نقلب صفحة العنوان نرى الكتاب يبدأ بالبسملة والحمد ، ثم أسناد روايته « حدثنا عبيد بن شربة الجرهمي ، عن البرقي يرفع الحديث أن معاوية ... » . وإذن فالكتاب عن رواية البرقي ، وهو تلميذ لمحمد بن هشام وإذن فالمستركرنكو F.krenhow له دعامة التي يتكئ عليها حين يستنتج من ذلك أن جامع الكتاب هو ابن هشام ، وأن القائل « عن البرقي » أحد تلامذته . ولسنا نستبعد ذلك ، ولكننا نحب أن نتصفح الكتاب قبل الإدلاء برأينا .

يقدم الكاتب بين يدي الكتاب بمقدمة يشرح فيها ولاية معاوية وخلافته وحبّه للسمر ، وإشارة عمرو باستدعاء عبيد ، وكبر سنه ، وعلمه ، وممره ، وسيطرته على قلب معاوية ، وأمر الأخير بتدوين أقواله .

ويتناول عبيد في هذا الكتاب تاريخ موطنه اليمن ، بادئا باجتماع البشر في بابل ، ثم تفرقهم شيعة ، وخروج بعض بني سام إلى اليمن . ثم يأخذ في سرد تاريخ هؤلاء اليمنيين ، معنيا بما أرسل إليهم من أنبياء ، وإن كان همه كله موجهاً لملوكهم وغزواتهم في بطون الأرض .

وينتهي الجزء الذي وصل إلينا بمقتل طسم وما قيل فيها من شعر . ويصرح الناسخ بأن الكتاب قد تم ، ولكنه يعني أنه كتب النسخة التي أمامه كلها فحسب ، إذ الكتاب لم يتم ، بل لم تكمل أخبار طسم نفسها ، ولعل مما

يؤيدنا في ذلك أننا كنا ننتظر من كتبة معاوية إشارة إلى ما حدث لعبيد في نهاية مجالس سمره .

وأول ما يلاحظ على الكتاب أنه ليس كتاباً تاريخياً بالمعنى المصطلح عليه ، وإنما هو مجالس سمر تاريخية مدونة ، ولذلك يغلب عليه ما يغلب على تلك المجالس من خصائص . فنرى الأسلوب الحوارى يشيع فيه ^(١) :

X

قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟
قال عبيد : سريانى أوله وآخره ، وهو لسان أبينا آدم عليه السلام ونوح وإدريس .

قال معاوية : كيف اختصت أرض بابل باجتماع الناس فيها ؟
قال عبيد : هي سرّة الأرض في فضلها ، وأراد الله ذلك بها .

ولكن الأمر الجليل الذى نحسبه لمعاوية أو لكتابه ، أنه كان لا يتدخل بالأسئلة في بعض الفصول ، ولذلك نراها تجرى دون أية مقاطعة ، أو مقاطعة لا تكاد تذكر . ومما يتصل بهذا ويحسب للكتاب أنه لم يفصل بين المجالس المختلفة ، فاكتمسب الكتاب ميزة حسنة ، وهي الاتساق وعدم التقطع ، كما نرى في مجالس قصص ألف ليلة وليلة مثلاً . ولكننا خسرنا ميزة أخرى ، هي عدم معرفتنا القدر الذى كان يقصه عبيد على معاوية ، والمدة التى قضاها الاثنان في سمرهما . ومما يتصل بهذا أيضاً ، أننا لا نرى أحداً من جلساء معاوية يظهر في الكتاب مسائل أو مجيباً ، إلا مرتين في صدر الكتاب ^(٢) .

م

ونحن نذكر تلك المجالس الأدبية التي كانت تعقد في بلاط الأمويين وخاصة معاوية وعبد الملك ، وكانت من الأسباب التي طورت الأدب والنقد الأدبي ، ونذكر أيضا عناية هذه المجالس بالشعر . إذا كنا نذكر ذلك ، فإننا لن ندهش حين نرى عبيدا يعنى عناية شديدة بالشعر ، ونرى معاوية — على الرغم من هذه العناية الشديدة — يلمس منه الأشعار ، فيقول (١) : « وسألتك ألا تمر بشعر تحفظه فيما قاله أحد إلا ذكرته » ، ويقول (٢) : « فحدثني عن لقمان بن عاد صاحب النسر وما قيل في ذلك من الشعر » ، ويقول : بعد أن يسرد عبيد بعض الأخبار (٣) : « فهل قيل في ذلك شعر ؟ » . وكان معاوية يطلب منه الشعر للمسامرة ، ولسبب آخر غيرها ، إذ كان يعتبر الشعر الدليل على صدق الخبر ، يقول (٤) : « وأبيك ، لقد أتيت وذكرت عجبا من حديثك عن عاد ، وقد علمت أن الشعر ديوان العرب ، والدليل على أحاديثها وأفعالها ، والحاكم بينهم في الجاهلية ، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن من الشعر لحكما » . ويقول (٥) : « سألتك ألا شددت حديثك ببعض ما قالوا من الشعر ، ولو ثلاثة أبيات » . وكثيرا ما كان يقول لعبيد بعد أن يذكر ما طلب من الشعر (٦) : « لقد جئت بالبرهان في حديثك » .

والشعر الذي جاء به عبيد يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام : قسم ضعيف سخيف

بالحسن ..

(٢) ٣٥٦ .

(١) ٣١٤ .

(٤) ٣٥٢ .

(٣) ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤٢٣ ، وغيرها .

(٦) ٣٣٠ و ٣٤٩ و ٤٠٠ ، وغيرها .

(٥) ٣١٨ .

ركيك ، ليس من الشعر الحق في شيء ، وهو موضوع على من نسب إليهم ،
وهو الغالب على الكتاب . ومن أمثلته ما ينسب لطسم بن لاوذ بن إرم حين
انتقل من بابل إلى بلاد العرب (١) :

ووالدي لاوذ بن رام	إني أنا طسم شبيه سام
وإخوتي الرحيل باعزام	لما رأيت من بني أعمامى
كرهت بعد إخوتي مقامى	قد اقتدوا بيعرب الهام

وقسم آخر أجود من السابق ، ولكنه من الموضوعات أيضا . ومن
أمثلته ما ينسب لتبع (٢) :

وما فعلت قومي بقميس أفاعلا	سيزد كر قومي بعد موتى وقائى
وكم من نساء قد تركنا ثوا كلا	فكم من ملوك قد قتلنا رجالهم
يبيت يراعى غله والسلاسل	وكم من أسير ظل في القيد ساقه
ويدخل باب العز من كان جاهلا	سيزد كر قومي نجدتى ومكارمى
وصيرته للعالمين معاقلا	بنيت لهم مجداً مع النجم سمكه

أما القسم الثالث فأشعار تنسب إلى شعراء معروفين ، مثل العباس بن
مرداس ، وأعشى بنى وائل ، وحسان بن ثابت ، وأمّية بن أبى الصلت ،
وامرىء القيس ، وعبيد بن الأبرص ، والنابعة الدياني (٣) . وقد وجدت

(١) ٣١٩ . (٢) ٤٠٠ .

(٣) ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٤٠٥ .

أكثر هذه الأشعار في دواوين أصحابها ، وإن كانت قد تختلف في بعض الألفاظ أو العبارات .

وهناك ظاهرة جديرة بالتسجيل في عداد حسنات عبيد ، إذ نراه يعنى في بعض الأحيان بإيراد جملة من الأشعار بعد سرده الأخبار التى يعالجها ، كما فعل بعد تناوله أخبار عاد وثمود . وكان عبيد يشعر بأن هذا هو المنهج الأكمل . قال له معاوية ذات مرة^(١) : « أقيل في ذلك شعر ؟ » فى أثناء كلامه ، فقال : « نعم ، يا معاوية ، قد قالت العرب فى ذلك أشعاراً ، فإن أحببت أنشدتكها ، وإن شئت فى آخر الحديث ، فإنه أصلح لحديثك » . فقال معاوية : « سمعناها فى آخر الحديث ، فهو أحسن » .

ومن أجل السمر أيضاً عفى عبيد ببعض القطع النثرية وجودها وهذبتها ، حتى لثامت النظر من بين باقى الأخبار ، وصارت شبيهة بما يسمى فى الأدب الغربى « القطع الأرجوانية » يعنون بذلك الفقرات التى تلقى العناية التامة على حين يهمل ماحولها من كلام . وتظهر هذه الفقرات أوضع ظهورها فى بعض الأحاديث التى ينسبها عبيد لأبطال تاريخه ، وفى بعض أوصافه للأجناس . فها هى ذى جارية من عاد تقول حين رأت ربح العقوبة^(٢) : « الويل لعاد ، التى طغت فى البلاد ، فأكثر فيها الفساد . أرى رياحا كأمثال الجبال ، لها لجم بأيدى رجال ، كأن فى وجوههم شهب النار » . وهذان رجل وامرأته يتخاصمان أمام عمليق فى ابنهما ، قالت^(٣) : « إني امرأة

. ٣٣٦ (٢)

. ٣٣٥ (١)

. ٤٨٣ (٣)

حملته تسعا ، وأرضعته سبعا ، ولم أر منه نفعا ، حتى إذا تمت أوصاله ، واستوى وصاله ، أراد أن يأخذه كرها ، ويتركى ورها . فقال زوجها : « أخذت المهر كاملا ، ولم أصب منها طائلا ، إلا وليداً جاهلا ، فافعل ما كنت فاعلا » .

والكاتب في هذه الفقرات لا يعرف من التجويد والزخرف غير السجع ، بل إنه لسجع ضعيف غير جميل في الغالب . ولا أدري أدلك من التحريف الذى أصاب الكتاب أم من الكاتب نفسه . أما الأسلوب الغالب على الكتاب فبسيط عادى صريح عاطل عن كل الحلى .

وظهرت في الكتاب خاصة أخرى تظهر في المسامرات ، تلك هي — الاستطراد ، فكثيرا ما كان يذكر عبيد عرضا في أثناء حديثه بعض الأشياء أو الأشخاص ، فيسأله معاوية عنهم ، فيضطر إلى الخروج إليهم ، ثم يرجع إلى السياق الأصلي . وكان معاوية يشير عليه أحيانا بالرجوع إلى السياق قائلا : « خذ في حديثك ^(١) » أو « خذ في حديثك الأول ^(٢) » أو « دع هذا وخذ في حديثك الأول ^(٣) » . وكان معاوية يستعجل أحيانا بعض الحوادث ، فيشير عليه عبيد بالتهمل ^(٤) .

وكانت مجالس معاوية هذه استمرارا لمجالس السمر الجاهلية ، ولذلك نرى موضوعات عبيد تغلب عليها الصيغة التى كانت تغلب على تلك المجالس . غلب على أخباره الخيال البدائى المبالى بل المفرق فى المبالغة ، وخرجت أخباره

(١) ٣٣٧ ، ٣٦٥ ، ٤٠٠ ، وغيرها . (٢) ٤٠٠ ، ٤٠٨ .

(٣) ٤٥١ . (٤) ٤١٣ .

قصصاً وخرافات وأساطير ، عن ملوك اليمن ، لا تختلف في شيء عما كان في الجاهلية ، في غالب الظن . بل يمكننا أن نعتبر كتابه تدويناً للقصص التاريخية التي كانت شائعة في الجاهلية ، وخاصة في جنوب بلاد العرب . وهي قصص تاريخية ، لا أخبار تاريخية ، فلا نستطيع أن نخرج منها بأخبار تاريخية علمية ، وإنما نظفر بأدب شعبي خيالي . ومما يكمل صورتها ، ويقرب بينها وبين الجاهلية ، تلك الأنساب التي تشيع فيها ، حتى قلما يظهر شخص ، دون أن تورده سلسلة نسبه ، حقا كانت أو باطلة . وإذن نحن لا نبعد كثيراً عن الصواب ، إذا أعدنا كتاب عبيد مدونة تحوى الأخبار التاريخية ، معالجة كما كان يعالجها الجاهليون ، ولا تختلف عنهم إلا في اعتمادها على القرآن في قصص الأنبياء والشعوب التي تعرض لهذا القرآن . ولعله كان يضيق بالأخبار التي تناولها القرآن ، لأنه لا يستطيع أن يتصرف فيها ، أو يترك لحiale الحرية في تناولها ، أو يرويها كما وصلته عن الجاهليين ، حتى ليقول لمعاوية حين سأله عن بلقيس والهدهد^(١) : « قول الله أصدق ، وقد أعلمتك لست بمحدث بشيء ليس في القرآن » . ولست بوصف خبراً بلغني بعد ما قال الله تبارك وتعالى . واعتمد عبيد في القصص القرآنية على ابن عباس كثيراً ، فكان يقول لمعاوية : « سمعت ابن عمك^(٢) » قاصداً عبد الله ، وكان يصرح باسمه أحياناً^(٣) .

حديثاً : السيرة . وصالحه
صالح

(١) ٤٢٤ .

(٢) ٣٢٧ .

(٣) ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٦٥ ، ٤١٥ ، وغيرها .

الرجاء - التاريخ

القصص التاريخية

أدب

وكتاب عبيد ذو أهمية كبيرة ، لا في تطور حركة التأليف التاريخي فحسب ، وإنما لأنه يكشف لنا النقاب عن الثقافات التي كان يعرفها العرب في الصدر الأول من الإسلام ، وربما التي كان يعرفها العرب في الجاهلية ، وخاصة في اليمن . وأوضح ما نجد الثقافة الإسرائيلية التي تظهر بارزة في الكتاب كله . يظهر هذا في الأخبار والأشخاص والأنساب والأسماء وغيرها ، بل نراه أحيانا يذكّر اسم أحد الأشخاص ، ثم يورد اسمه في العبرية أو السريانية فأبو إبراهيم آزر واسمه تاريخ^(١) ، وعابر هو هود^(٢) .

هذا هو كتاب « أخبار عبيد بن شرية » ، ملحمة من أجمل الملاحم العربية النثرية التي تتناول تاريخ العرب الجنوبيين ، يلعب فيها الخيال دوراً كبيراً ، ويحلبها الشعر والقطع النثرية الأرجوانية ، والقصص الإسرائيلية المأخوذة من التوراة وأخبار الإسرائيليين ، ملحمة تشبه الملاحم التي ستظهر في العصور الإسلامية المتأخرة من أمثال ملاحم عنتره والظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمزة . ولكنها تمتاز عنها بسمو أسلوبها ، وفصاحتها العربية . ولعلنا لا نشط كثيراً حين نقارنها بشاهنامة الفردوسي الشعرية التي تتناول تاريخ الفرس منذ أقدم العصور ، حتى الفتح الإسلامي . ويؤسفنا كل الأسف ضياع الجزء الأخير منها .

وفي ختام الكلام عن أخبار عبيد نذكر أمراً كبير الأهمية ، ذلك هو دخول بعض العناصر العربية فيه . فهذا خبر يصدر بالإسناد التالي^(٣) : وذكر

مكتبة

(٣) ٣٥٠

(٢) ٣١٣ ، ٣١٥

(١) ٣١٥

بعض أصحاب السير عن عبيد بن شرية بأمر هود ، قال أخبرني البخترى عن محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكنانى عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه . . . وليس هذا بإسناد الكتاب ، والخبر ليس منه ، حق ليقول بعد الخبر : رجع الحديث إلى عبيد بن شرية ومعاوية . ويعلق الناشر على هذا الخبر قائلا : « لعل هذه العبارة كانت حاشية فأدججها بعض النساخ في الأصل ، ومع ذلك فهذا عبيد ابن شرية ليس له دخل في هذه القصة » . ولكنه ليس خيرا واحدا ، وإنما هي أخبار كثيرة من رواية محمد بن إسحاق وغيره ، مثل وهب بن منبه^(١) . ونحن لا نظن أن هذه الأخبار حواش ، وأدخلها النساخ في الكتاب ، فإننا لا نستطيع أن نقول ذلك عن الخبر الآتى^(٢) : ذكر عبيد أن سمر يرفع بنى نصبا في السغد وكتب عليه « من بلغ هذا المكان فهو مثلى ، ومن جاوزه فهو أفضل منى » ، ثم قال عبيد : « وأنا أرجو أن يظهر الله أمير المؤمنين بذلك الموضع من الأرض ، فيعلم أنى قد أدبت إليه من حديثي علما » قال معاوية : « اللهم أرنا تصديق قول ابن شرية ، فإنه يذكر عجبا ، وإن شاء ربى فعل ذلك » . فبلغنى عن الشعبي أنه ذكر عن رجل من خيوان همدان يقال له عبد الله ، قال : « بينما نحن بالسغد مع قتيبة بن مسلم الباهلى ، واقتتح سمرقند إذ نظر إلى حجر ملصق على الباب فيه خطوط كأنها بالعربية وليست بها . . .

(١) ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ .

(٢) ٤٣٠ .

قراء على مثل ما ذكره عبيد لمعاوية ، ورواه عنه من رواه » . فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، ولا ندرى منه من الذى يرويه عن الشعبي . ولـكـنـنا نجد الخبر نفسه فى كتاب التيجان لوهـب بن منبه مرويا عن ابن هشام ^(١) : « قال أبو محمد [بن هشام] حدثني عامر بن جـرهم الأنصارى ، عن مكحول عن الشعبي ، قال : « حدثني رجل من خيوان ممدان ... » إذن فهذا الخبر ليس من رواية عبيد ، بل حدث بعد موته ، وهو من صلب الكتاب ، ولا يظهر عليه أنه مقحم فى هذا الموضع ، وكذلك نرى بعض الأسماء والأنساب والأشعار تختلف روايتها باختلاف الموضع ، حتى أكثر الناشر من الإشارة إلى ذلك ^(٢) ، مما يجعلنا نظن أن هذه الاختلافات ترجع إلى رواة مختلفين ، لا عبيد وحده . وهناك أخبار أخرى منسوبة لعبيد ، ولـكـنـنا لا نستطيع أن نصدق أنه يتفوه بها أمام معاوية . يقول ^(٣) : وبلغنى أن أولاد بربر بن كنعان بن كوثر بن حام الدين يزحفون لرجل من ولد فاطمة حتى يردوه إلى مكة ، وهو صاحب العدل فى آخر الزمان ، وأصحابه يقال لهم : الغرباء . قال له معاوية : « قلت الصواب إن شاء الله ، وإن كلامك طيب وشفاء لما فى الصدور » . ولا شك أن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن عبيد أمام معاوية . أما تعليق معاوية على كلامه فلا يحتاج إلى إنكار من أحد فإنه أهوى مما يحتاج إليه الإنكار . وينسب إلى عبيد أنه قال ^(٤) : « وقد ذكرناها فى كتابنا هذا » . وهذه العبارة كبيرة الأهمية ، لأنها تدل على أن

(١) وهب بن منبه : التيجان ٢٣٧

(٢) ٤٠٩ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ، ٤١١ وغيرها .

(٣) ٣٢٣ .

(٤) مجلة الثقافة الإسلامية عام ١٩٢٧

القائل كان يتصور هذه الأخبار كتاباً لا مجالس ممر ، بما قد نستنتج منه أن الكتاب لم يكن مجالس حقيقية ، وإنما مؤلف على صورة المجالس . لو أضفنا كل هذا إلى ملاحظناه على العنوان والمقدمة ، لخرجنا بأن الكتاب من جمع ابن هشام ، وأنه عمل فيه ما عمل في سيرة ابن إسحاق ، أو أنه دخلته عناصر غريبة كثيرة ، بعضها مصرح بنسبتها ، وبعضها غير مصرح .

ولكن الأستاذ كرنكو يذهب إلى أبعد من ذلك ، فيصرح بأن عبيد ابن شربة شخص خيالي لا وجود له ، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو البرقي أو محمد بن إسحاق ، مكمل به المؤلف ما ينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار . ويستدل على ذلك بتلك الأخبار التي سمينها غريبة عن الكتاب وغيرها من الأدلة ، ومنها عدم ورود ذكر لعبيد في كتب الرجال . ونحن لا نستطيع أن نذهب معه إلى هذا الحد ، كما لا نستطيع أن نرفض رأيه يقيناً فعدم ورود اسم عبيد في كتب المحدثين دليل على أنه لم يرو الحديث ، وليس بدليل على عدم وجوده . ولعل هذا الرأي غريب ، لأنه كان من المنتظر من رجل مثل عبيد ، عني بالتاريخ الجاهلي ، أن يعنى كذلك بالتاريخ الإسلامي فيؤدى ذلك بالمحدثين إلى الكلام عنه ، ولو في باب الضعفاء من المحدثين ، كما أننا لو قلبنا صفحات كتاب المعمرين^(١) نجد القصة التي يروون أنها جرت بينه وبين معاوية ، تروى بأشكال مختلفة ، ولكن متقاربة ، على أنها حدثت لأفراد آخرين غيره من المعمرين . فهذه الدلائل تغرينا على السير إلى جانب كرنكو . ولكن الأمر اليقيني الذي لا يخامرنا فيه شك ، أن الكتاب ، بهذه الصورة الراهنة ، ليس من تأليف عبيد بن شربة .

(١) أبوحاتم السجستاني : كتاب المعمرين ، ٧ ، ٨٣ ، ٦٧ ، ٨٧ .

وهذه فقرة من الكتاب تبين لنا أسلوب عبيد ، قال (١) :

« قال معاوية : « فمن ملك بعده [بعد ذى القرنين] ؟ » .

قال : « ملك بعده ملكي كرب بن أسعد بن تبع الأكبر بعد أبيه ، وكان رجلاً ضعيفاً ، لم يكن يغزو أحداً حتى مات ولم يبعث جيشاً . فأما أهل اليمن فيزعمون أنه كان يتخرج من الدماء . وأما أهل الرأي والمعرفة والبصر بالأمور فإنهم يقولون : لم يكن ذلك منه إلا عن قلة التجربة وقلة الأنفة وصغر الهمة ، لأنه لم يحدث دعوة في ملكه ، ولم يعبر عن دين ولا طريقة أحد ممن قبله .

قال معاوية : « وما تعبير حال الملك ؟ »

قال عبيد : « يا أمير المؤمنين ، لم يكن يغير من شيء يفعله آباؤه ، ولا زال شيئاً من جبروت الملك ولا أحدث تواضعاً ، ولا قرباً من الناس ، ولا زال عن تجربته وعتوه ، وأشد أمره باليمن لا يجاوز أرض اليمن إلى غيرها بلد عرب أو عجم . »

قال معاوية : « فكيف ملكهم يا عبيد ، وكيف استقام لهم أمرهم على تلك الحال ؟ »

قال عبيد : « لأنهم أحبوا الدعة والسكون ، وكانوا قد ملوا الغزو والحروب ، وكثرة السير في البلدان .

قال معاوية : « فكيف ملكهم على هذا المنوال ؟ »

قال : « ملكهم خمساً وثمانين سنة » .

قال معاوية : « فمن ملك بعده ؟ » .

قال عبيد : « ملك ابنه تبع أسعد بن ملكيرب » .

هذه هي الكتب التي ترجح بينها الرأي في اختيار الكتاب الأول في الظهور ، ثم ظهرت كتب السير والمغازي التي تتناول حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدرس . وقد رأينا أن من عوامل ظهور هذه الدراسة جمع الأحاديث ، سواء ما تناول الناحية الفقهية أو ما تناول الناحية التاريخية من حياته ، بدافع من الرغبة الدينية . وكذلك كان العرب ينظرون إلى النبي نظرهم إلى بطل من الأبطال وخدمهم وهياهم لفتح الأمم ، فعنوا بتاريخه كما عنوا بتاريخ أبطالهم في الجاهلية . ولا ننسى مع ذلك أنهم أرادوا أن يضعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بإزاء موسى وعيسى اللذين يفخر بهما أهل الكتاب ، وألقوا عنهما الكتب ، وأحاطوها بالقصص الصحيحة وغير الصحيحة . كل أولئك وغيره اجتمع فأنمر كتب المغازي والسير ، التي تعتبر بداية التأليف العلمي في التاريخ لأنها كانت تستند إلى الأحاديث التي كان يراعى فيها الدقة إلى أبعد غاية ، فأسبغت الأحاديث دقتها على التاريخ . ولذلك نشعر للوهلة الأولى بأننا نستند إلى أساس علمي وثيق حتى لو سلمنا في نفس الوقت بشيء من الشك في بعض الأحاديث التي تناولت العهد المكي خاصة من حياة الرسول . وقد ترك هذا الارتباط بالأحاديث أثرًا لا يمحى في أسلوب التأليف التاريخي ، إذ كثرت مواطن التشابه بين النوعين . وكانت المدينة موطن هذه الدراسة ، فلم يختص أحد بالتأليف في المغازي والسير قبل القرن الثاني من الهجرة خارجها .

أبان بن عثمان

أول من اشتهر بالتأليف في المغازي أبان بن عثمان بن عفان المتوفى عام ١٠٥ هـ أو قبله. وكان أبان من علماء الحديث والفقهاء أيضاً. يقول ابن سعد في حديثه عن المغيرة بن عبد الرحمن^(١): « وكان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيراً ما تقرأ عليه ويأمرنا بتعليمها » . وكان المغيرة هذا في جيش مسلمة ابن عبد الملك الذي توجه لحرب الروم عام ٩٦ هجرية ، واسترجعه عمر بن عبد العزيز في عام ٩٩ هـ^(٢) . ولذلك لا يمكن للمغيرة أن يأخذ المغازي إلا عن أبان بن الخليفة عثمان ، وليس عن أبان بن عثمان البجلي الشيعي الذي عاش بعد ذلك التاريخ بحيل أو اثنين^(٣) .

ويبدو أن هذه المغازي التي رواها المغيرة عن أبان ليست كتاباً بالمعنى الدقيق ، وإنما هي مجموعة من المواد المتعلقة بحياة النبي . ويظهر أن هذه الأخبار ضاعت ، ولم يأخذ عنها أحد من كتاب السير المتأخرين . فلا يأخذ عنه ابن إسحاق ولا الواقدي ولا ابن سعد (في الجزء المخصص للسيرة من طبقاته) . أما خبر أسر العباس وبعض بني هاشم الذي يروي ابن سعد^(٤) عن أبان ، عن معاوية بن عمار ، عن جعفر بن محمد (المتوفى عام ١٤٨ هـ)

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ١٥٦ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ١٣٠٥ ، ١٣٤٦ .

(٣) هوروفتس : المغازي الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٤ : ٢٩ القسم الأول .

فإنه يتضح من الإسناد أنه لا يقصد أباننا هذا وإنما أبان البجلي الشيعي .

ولكن ابن سعد يذكر أبان بن الحليفة عثمان خارج السيرة حين يورد الكلمات الأخيرة التي تفوه بها عمر بن الخطاب عند وفاته . وقد سمعها أبان من والده ^(١) . ويذكره ابن قتيبة أيضا في الشعر والشعراء ^(٢) على أنه راوي الخبر القائل بأن معاوية اشترى البردة التي أعطاها النبي لكعب بن زهير ، مكافأة له عن قصيدته :

بانت سعاد ...

وأن الحكم كانوا يلبسونها في الأعياد . وفيما عدا ذلك لا يوجد لأبان ذكر في كتب التاريخ ، وإن كانت كتب الحديث تكثر من ذكره .

وهاك الخبر الذي أورده ابن سعد من رواية أبان :

« عن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، عن أبيه ، عن عثمان بن عفان ، قال : أنا آخركم عهداً بعمر ، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر ، فقال له : ضع خدي بالأرض . قال : فهل خذي بالأرض إلا سواء ؟ قال : ضع خدي بالأرض لا أم لك ، في الثانية أو في الثالثة . ثم شبك بين رجليه ، فسمعتة يقول : ويلى ويلى أمى إن لم يغفر الله لى ، حتى فاضت روحه .

قال : أخبرنا قبيصة بن عقبة ، قال : (نا) سفيان ، عن عاصم بن عبيد الله

(١) ابن سعد الطبقات ٣ : ٢٦٢ القسم الأول .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٠٦ .

قال : حدثني أبان بن عثمان ، عن عثمان ، قال : آخر كلمة قالها عمر حتى قضى :
ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي ، يلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي ، يلي
ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي .

عروة بن الزبير

عروة بن الزبير المتوفى عام ٩٤ هـ من معاصري أبان الذين ألفوا في
التاريخ . ولم يقتصر عروة على الرواية الشفوية ، بل دون بعض الأحداث التي
طلبها منه عبد الملك بن مروان ، أو ابن أبي هنيدي . الذي كان في بلاط
الوليد ، في رسائل بعثها إليهما . وقد وصل إلينا بعض هذه الرسائل في
صفحات ابن إسحاق ، والواقدي ، والطبري .

تتناول رسالة عروة الأولى إلى عبد الملك هجرة الحبشة ^(١) ، وتتناول
الثانية موقعة بدر ^(٢) ، والثالثة تتناول فتح مكة ^(٣) . وتتناول عروة أيضا
وفاة خديجة وهجرة النبي والصحابة إلى المدينة ، وخبر زواج النبي من أخت
الأشعث بن قيس ، وقد روى هذه الأخبار ابنه هشام . أما الرسالة الأخرى
لابن أبي هنيدي فرواها الزهري وتتناول المناسبة التاريخية للآية العاشرة من
السورة الستين ^(٤) .

وتمثل كتابات عروة المشار إليها أقدم المدونات التي وصلت إلينا عن

(١) تاريخ الطبري : ١ : ١١٨٠ .

(٢) نفس المرجع ١٢٨٤ .

(٣) نفس المرجع ١٦٣٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٤٠ . والطبري : التفسير ٨ : ٤٢ .

بعض الحوادث الخاصة في حياة النبي ، كما تمثل أقدم آثار الكتابة التاريخية العربية . ولا تذكر المراجع القديمة أى كتاب ألفه عروة عن المغازي ، ولكن حاجي خليفة يقول : إنه أول من صنف في المغازي^(١) . ولم يعن عروة بجمع الأخبار عن جميع حياة النبي فحسب ، بل عني أيضاً بحوادث الخلفاء الأولين أيضاً ، فتراه يعالج وقعه القادسية واليرموك وبعض حوادث فتوح الشام^(٢) . ويعني عروة أيضاً بتاريخ الزبيريين ولذلك نرى جميع أخبار الحزب الزبيرى وحروبه وفتنه مروية عنه في الكتب التاريخية مثل الطبرى وحلية الأولياء أو الكتب الأدبية مثل الأغاني^(٣) .

وتمتاز كتابات عروة بأنها لا تهمل الإسناد إهمالاً تاماً ، كما أنها لا تعنى به عناية متشددة ، فهو أحياناً لا يذكره وأحياناً يذكره . ولذلك يكون من الخطأ أن تنهم عروة بتهمة إغفال الأسانيد ، وإنما نقول إن الأسناد أصبح عادة في ذلك الوقت ، ولكنه لم يصبح ضربة لازب على كل مؤلف في التاريخ . وتمتاز كتاباته أيضاً بأنها تعنى بالإشارات القرآنية إلى الحوادث الإسلامية ، فتحاول شرحها . كما أشرنا قبل ، بل إنه يتجاوز ذلك إلى استعمال الألفاظ القرآنية كتاباته ، لتشير إلى مدلولها القرآنى مثل استعماله لكلمة الفتنة في حديثه عن المهجرتين الحبشية والمدنية متبعاً الآية الأربعين من السورة الثامنة . ولا يعنى عروة بالأحاديث وحدها ، وإنما يعنى أيضاً بالوثائق المكتوبة مثل رسالة النبي إلى أهل هجر ، وإلى زرعة بن ذى يزن ،

(١) كشف الظنون ٥ : ٦٤٦ .

(٢) الطبرى: تاريخ ١ : ١١٨٥ ، ١١٩٩ ، ١٢٤٢ أو غيرها .

(٣) انظر فهرست الطبرى والأغاني والفصل المخصص لعبد الله بن الزبير في الحلية .

وإلى عبد الله بن جحش . وعلى الرغم من فقه عروة ودينه فإنه لم يكن خصما للشعر ، بل ينثره في الحوادث على لسان المشتركين فيها مثله في ذلك مثل النموذج المعروف عن التاريخ الجاهلي . ولكن يبدو أن هذا التدين كان له أثره في ناحية أخرى ، تلك هي خوفه من إبداء رأيه في الحوادث ، وإنما يتبع المأثور والحديث كما يقول ابنه هشام^(١) . ولعل ذلك هو الذي جعله يروى في تاريخه بعض الأخبار التي لا يستطيع تصديقها بسهولة ، وربما كانت هذه الأخبار من أثر أجنبي ، يهودي أو نصراني .

وهذه إحدى رسائل عروة التي أرسلها إلى عبد الملك بن مروان^(٢) :

« ثنا أبان العطار قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك :

أما بعد :

فإنك كتبت إلى في أبي سفيان ومخرجه ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريش من سبعين راكباً من قبائل قريش كلها ، كانوا تجاراً بالشام فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارهم ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى ، وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخلة ، وأسرت أسارى من قريش فيهم بعض بني المغيرة وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقده حليف بني عدى بن كعب في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك

(١) ابن حجر : التهذيب ٧ : ١٨٣

(٢) تاريخ الطبري ١ : ١٢٨٤ .

الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام .

ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه ، وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ، لا يرونها إلا غنيمة لهم ، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم . وهي التي أنزل الله عز وجل فيها « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم » . فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له ، بعث إلى قريش أن محمداً وأصحابه معترضون لكم ، فأجروا تجارتكم . فلما أتى قريشاً الخبر ، وفي غير أبي سفيان من بطون كعب بن لؤى كلها ، نفر لها أهل مكة ، وهي نفرة بني كعب بن لؤى ، ليس فيها من بني عامر أحد إلا ما كان من بني مالك بن حسل . ولم يسمع بنفرة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم بدرأ . وكان طريق ركبان قريش من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام . خفف أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرصد على بدر . وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرس قريباً من بدر . وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا يحسبون أن قريشاً خرجت لهم . فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي إذ ورد بعض روايا قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ، فأخذته نفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأقلت بعض أصحاب العبد نحو قريش . فأقبلوا به
حتى أتوا به رسول الله (ص) ، وهو في معرسه ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه
لا يحسبون إلا أنه معهم . فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ،
وعن رؤوسهم ويصدقهم الخبر ، وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ،
وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم
يصلى : يركع ويسجد ، ويرى ويسمع ما يصنع بالعبد . فطفقوا إذا ذكر لهم
أنها قريش جاءتهم ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه
نجعل العبد إذا أذلقوه بالضرب ، وسأله عن أبي سفيان وأصحابه ، وليس له
بهم علم ، إنما هو من روايا قريش ، قال : نعم هذا أبو سفيان . والركب
حينئذ أسفل منهم ، كما قال الله عز وجل (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة
القصوى والركب أسفل منكم ...) حتى بلغ (أمراً كان مفعولاً) . فطفقوا
إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا
أبو سفيان تركوه . فلما رأى صنعهم النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاته
وقد سمع الذي أخبرهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي
نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق وتتركونه إذا كذب » قالوا : فإنه
يحدثنا أن قريشاً قد جاءت ، قال : « فإنه قد صدق ، قد خرجت قريش تبجير
ركابها » . فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لي بأبي سفيان
فسأله : « كم القوم ؟ » فقال : لا أدري والله ، هم كثير عددهم . فزعموا أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أطعمهم أول من أمس ؟ » فسمى رجلاً
أطعمهم ، فقال : كم جزائر نحر لهم ؟ قال : تسع جزائر . قال : فمن أطعمهم
أمس . فسمى رجلاً . فقال : « كم نحر لهم ؟ » قال : عشر جزائر ، فزعموا أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » . فكان نفرة
قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الماء وملاً الحياض ، وصف عليها أصحابه ، حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرآ قال : « هذه مصارعكم » . فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه ، فلما طلعوا عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هذه قريش قد جاءت بجلبتها وخفها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم إني أسألك ما وعدتني » فلما أقبلوا استقبلهم غثا في وجوههم التراب فهزمهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه أن ارجعوا ، والركب الذين يأمرهم قريشاً بالرجعة بالجحفة ، فقالوا : والله لا نرجع حتى نزل بدرنا فتقيم به ثلاث ليال ، ويرانا من غشيننا من أهل الحجاز ، فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا . وهم الذين قال [فيهم] الله عز وجل « الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورثاء الناس » فالتقواهم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم .

وإذا أحببنا أن نعرف طريقة عروة في التأليف من هذه الرسالة نجده يعنى في سرده الغزوة بالمقدمات التي سبقتها وأدت إلى وقوعها ، ويعنى في أثناء السرد بإقامة الأدلة على صحة ما يقول من الآيات القرآنية ، ونجده يشير إلى الأشياء التي لا يطمئن إليها ، أو يخاف مسئوليتها بكلمة « زعموا » ، كما حدث في روايته عدد قريش والأقوال المعزوة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن يبدو أنه كانت تأخذه أحيانا حماسة السرد ، فينساق وراء الموضوع الرئيسي ، ويترك بعض التفاصيل ، فيرجع إليها بعد ما ينتهى ، ويقول مثلاً : « وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان . . »

هذا ما نستطيع أن نستخلصه من هذه الرسالة ، إلى جانب تذوقنا
لأسلوبه البسيط الذي لا يخلو من فصاحة عربية غير متكلفة ، بل عاطفة
صادقة يحسها القارئ في ثنايا الوصف .

وهب بن منبه :

أما وهب بن منبه المتوفى عام ١١٠ هـ فليس من المدينة ، ولكن من دمار
بجوار صنعاء عاصمة اليمن ، ولا تذكره كتب السيرة القديمة على أنه أحد رواة
السيرة ، ولكن حاجي خليفة^(١) يقول عنه إنه جمع المغازي ، وقد تبين صدقه ،
إذا اكتشف بيكر Becker بين مجموعة أوراق بردى شت رينهاردت -Schott
Reinhardt المحفوظة في هيدلبرج ، مجلداً يحتوي على قطعة من هذه المغازي .
وتتناول قطعة هيدلبرج تاريخ العقبة الكبرى ، واجتماع قريش في دار الندوة ،
والهجرة ، وغزوة بني خثيم ، مما يدلنا على أن وهباً تناول الفترة المسكية
والمدنية من حياة الرسول . ويقول بعض من رأى هذه القطعة إن وهباً يهمل
الإسناد ، ويعنى بالشعر^(٢) .

وحفظت حلية الأولياء لوهب قطعتين من المغازي ، تتناول الأولى فتح

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون رقم ١٢٤٦٤ .

(٢) هوروفتس : كتب المغازي الأولى ومؤلفوها .

مكة (١) ، والثانية وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ، وهو يذكر الإسناد في القطعتين . وهذه هي القطعة الثانية يقول فيها :

« فلما كان يوم الأحد ثقل في مرضه ، فأذن بلال بالأذان ثم وقف بالباب ، فنادى : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة يرحمك الله ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقالت فاطمة : يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم مشغول بنفسه . فدخل بلال المسجد ، فلما أسفر الصبح قال : والله لا أقيمها أو أستاذن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجع وقام بالباب ونادى : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله . فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت بلال ، فقال : ادخل يا بلال ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول بنفسه ، مرأبأبكر يصلي بالناس . فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول : واغوثاه بالله ، وانقطاع رجائي ، وانقضاء ظهري ، ليتني لم تلدني أمي ، وإذ ولدتني ليتني لم أشهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اليوم . ثم قال : يا أبا بكر ، ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تصلي بالناس . فتقدم أبو بكر رضي الله عنه للناس ، وكان رجلاً رقيقاً ، فلما نظر إلى خلو المكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمالك أن خر مغشياً عليه ، وصاح المسلمون بالبكاء . . . فلما كان في يوم الإثنين اشتد به الوجع ، وأوحى الله تعالى إلى ملك الموت عليه السلام ، أن اهبط إلى حبيبي وصفي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وارفق به في قبض روحه ، فهبط ملك الموت عليه السلام فوقف بالباب شبه أعرجي ، ثم قال : السلام عليكم ، يا أهل بيت النبوة . . . »

(١) الأصبهاني : الحلية ٤ : ٧١ .

(٢) نفس المرجع ص ٧٣ .

وهذه الفقرة طويلة مفصلة . ولكن قارئها لا يسهه إلا أن يشك فيها الشك الشديد ، فأسلوبها مما لا نألفه في أساليب تلك الفترة ، وعبارتها غريبة عن الرجل العربي الذي يعيش في ذلك العصر ، وقد لعب فيها الخيال دوراً كبيراً . ولذلك إذا صحت نسبتها لوهب ، فإننا لا نستطيع أن نطلق عليه لفظ مؤرخ ، بل قصاص .

ويجب أن نذكر أن وهبا اتجه في التاريخ وجهة جديدة لم تعن بها مدرسة المدينة قبله ، تلك هي عنايته بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ وطنه اليمن . فالأستاذ هوروفس ينسب لوهب « كتاب المبتدأ » الذي عزاه ابن النديم لحفيده عبد المنعم^(١) . ويرى أن العنوان يشير إلى مبتدأ الخلق . ولكننا لا نرى داعياً لهذا ، ونرى أنه ربما جمع عبد المنعم مواد كتابه بما في كتب وهب الأخرى ، وخاصة كتابه في تاريخ اليمن ، الذي عني فيه بتاريخ الخليقة والأنبياء . ولم يعن وهب بالأنبياء وحدهم بل بالصالحين أيضاً في كتاب يسمى « كتاب العباد »^(٢) . ولعل الكتاب الذي ينسبه إليه حاجي خليفة في « الأخبار »^(٣) هو نفس كتابه عن العباد .

ويعتمد وهب في جميع هذه الكتب على أخبار أهل الكتاب ، يهود ومسيحيين ، اعتماداً شديداً . ولقد اشتهر بذلك حتى قيل عنه إنه قرأ ٧٠ أو ٧٣ أو ٩٢ من كتبهم المقدسة^(٤) . ولكننا نميل إلى الشك في هذا العدد ، ولعله

(١) ابن النديم : الفهرست ٩٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ج ٧ من القسم الثاني ص ٩٧ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ٤ : ٥١٨ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٩٦ .

استقى أغلب هذه الأخبار من أهل الكتاب الذين اتصل بهم في موطنه اليمن ، الذي اشتهر منذ الجاهلية باستيطان هاتين الديانتين وتصارعهما فيه . بل بلغ الأمر بهذه الشهرة إلى حد أن نسب إلى وهب كتاب يسمى « الإسرائيليات » ، كما يقول حاجي خليفة^(١) . ولكن ياقوتا يقول عنه إنه كان « كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات^(٢) » ، أى يستعمل اللفظ وصفا لمصادر وهب ، لا عنوانا لأحد كتبه . ولذلك يرجح أن كتاب الإسرائيليات هذا عبارة عن مجموعة الأخبار التي استقاها وهب من أهل الكتاب ، جمعها بعض المتأخرين ، وزاد عليها حتى صارت كتابا ، عرفه حاجي خليفة بذلك الاسم . وقد قام بتلك المحاولة ثمانية شوفان Chauvin^(٣) ولكنها محاولة مخففة ، لأن هذه الأخبار غير كافية لتكوين كتاب ، ولأن هذه الأخبار دخلها كثير من الانتحال حتى عارض بعضها بعضاً ، وكثر فيها الخلط والتهويز . ولا يلام وهب كل اللوم على هذا الخطأ والتعارض ، لأن الأخبار الصحيحة عنه تطابق أخبار أهل الكتاب مطابقة كبيرة . وما شذ عن ذلك فيرجع إلى تغيير نفس المصادر التي استقى منها وهب ، أو إلى تغيير منه لتلائم الذوق الشعبي ، أو هي من عمل المتأخرين الذين غيروا فيها لتلائم القصص الشعبي .

والأمر الثاني الذي يمتاز به وهب هو كتابة تاريخ وطنه اليمن الخرافي القديم في رسالة خاصة تسمى « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ٥ : ٤٠ .

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٢٣٢ .

(٣) النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة ٥٧ .

وقصصهم وقبورهم وأشعارهم » ، كما يقول ياقوت^(١) . ولسوء الحظ لم يصل إلينا هذا الكتاب ، وإنما وصل إلينا كتاب يسمى « كتاب التيجان في ملوك حمير » ، وهو من رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام عن أسد بن موسى عن أبي إدريس بن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه . ولكن كل من يتصفح الكتاب يستطيع أن يرى بسهولة أنه ليس كله لوهب ، وإنما تصرف فيه ابن هشام تصرفه في سيرة ابن اسحاق ، وإن كان لا يصرح بذلك كما فعل في السيرة . ولذلك لا نستطيع أن نعرف مدى تصرفه ، غير أننا يمكننا أن نعرف الإضافات التي جلبها من روايات أخرى ، وصرح بسندها . فهو يروي أخباراً عن محمد بن اسحاق عن طريق تلميذه البكائي الذي روى السيرة^(٢) أو عن طريق تلميذه الآخر المسمى أبا عباد الحمداني^(٣) ؛ ويروي عن أبي مخنف^(٤) ، وعن محمد بن السائب الكلبى^(٥) ، وعن عبيد بن شربة^(٦) ، وعن بعض المحدثين^(٧) . ولكنه إلى جانب ذلك يروي مجموعة كبيرة من الأخبار التي لا يسندها إلى أحد^(٨) . وهى بالطبع ترجع إلى رواة مختلفين قد يكون منهم وهب نفسه^(٩) . والأمرا الجدير بالملاحظة أننا نرى جل الأخبار

(١) ياقوت : معجم الأدياء ٦ : ٢٣٢ .

(٢) كتاب التيجان ٧٥ ، ١١٥ ، ١٢٨ وغيرها .

(٣) ٢٥١ . (٤) ١٢٥ ، ١٨٠ .

(٥) ١٣٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٠ . (٦) ٢٣٧ .

(٧) ٦٤ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٦٤ ، ٢٣٧ ، وغيرها .

(٨) ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، وغيرها .

(٩) ٢٥٥ ، ونظر حلية الأولياء ج ٤ .

قبل الصفحة المئة من الكتاب منسوبة إلى وهب ، ولكنها تفل شيئا فشيئا حتى تكاد تنعدم بعد ذلك .

والكتاب كما قلنا يتناول تاريخ اليمن . فيبدأ بمخلق العالم ، وقصص آدم وأولاده ، حتى عهد نوح وأولاده . ثم يلتفت وهب إلى العرب من الساميين ، وإلى عرب الجنوب خاصة ، ويسرد تاريخ أقيالهم وملوكهم ويعنى بغزواتهم في أرجاء الأرض ، ويذكر هجرة عمرو بن عامر من اليمن إلى شمال بلاد العرب ، كما يذكر بعض ملوك غسان .

ولا يختلف كتاب التيجان لوهب كثيراً عن كتاب عبيد بن شربة في طريقة العرض . فهما يطلقان لحيالهما العنان في تصوير الوقائع . ويلونان الحوادث التاريخية بأطياف خيالية قد تخرج بها إلى حد الخيال والأسطورة . كما يدخلان في تاريخهما الكثير من الحوادث التي لا أصل لها ، ولذلك يصدق عليهما اسم القصص التاريخي أكثر من أي نعت آخر . ونحن نعدّها امتداداً للحركة القصصية التاريخية التي كانت موجودة في الجاهلية . ولعل الذي نسخ الكتابين في نسخة واحدة رجل حكيم ، عرف منهما مواطن الشبه هذه ، التي تجعلنا لا نجد بينهما كبير فرق .

ويكشف هذا الكتاب عن بعض خصائص وهب ، فهو مثل الجاهليين مغرم بالشعر ، مكثّر من روايته ، وأكثر هذا الشعر منحول سخيف ركيك . ينسب وهب إلى آدم أنه قال حين قتل هابيل^(١) :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
وجاورنا عدو ليس يهدى لعين لا يموت فأستريح
أيا هايل يثمر القواد أبعده العين مسكنك الضريح
محل تخلق الأجساد فيه ويملئ عنده الوجه الصبيح
فعيني لا تجف عليك سحا وقلبي الدهر محزون قريح

ولكن هناك بعض أشعار جيدة بالنسبة للسابقة ، ينسب مثلاً إلى عبد شمس
أنه قال يوصي ابنه بابلين (١) :

ألا قل لبابلين والقول حكمة ملكت زمام الشرق والغرب فاجمل
وخذ لبني حام من الأمر وسطه فإن صدقوا يوماً عن الحق فاقتل
وإن جنحوا بالقول للرفق طاعة يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأي في الناس يجتروا عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال من غير وجهه فإنك إن تأخذنه بالرفق تسهل

ويروى وهب أيضاً بعض أشعار ينسبها للناطقة الديباني ، وليبد ، والأعشى ،
وامرئ القيس (٢) . أما بيت النابغة ومقطوعة لبيد فهما في ديوانيهما ، وأما
مقطوعتا الأعشى وامرئ القيس فلم أجدهما في ديوانيهما المطبوعين .

ولقد تأثر وهب بالقرآن أيضاً في القصص التي ورد ذكرها فيه ،

فحاول أن يتبع خطاه ، وأن يستند إلى آياته ، يقول في وصفه الخلق (١) :
 « فاضطرب الماء وهاج ، فاصطفق ، فأزبد ، فصار أرضا ، فخلق الله الحوت
 والبحر من ذلك الزبد . ثم رفع الله السماء وهي دخان » فقال لها والأرض
 اثبتا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات في يومين «
 وخلق الملائكة ، وأوحى في كل سماء أمرها ، أسكنهم السموات يسبحون
 ويهللون ويقديسون الواحد القهار ، وخلق الجبال في الأرض أوتادا» .

وتظهر عند وهب نزعة إسلامية واضحة ، فهو يعنى بجلب آراء العلماء
 المختلفين في بعض المواضع ، مثل اختلافاتهم في خلق الجنة ، وفي قتل قابيل
 هايل (٢) .

وأسلوب وهب في كتابه بسيط صريح منطلق لا تثقله أى حلى ، ولا
 يقف عند زينة ، ولا يكن نجمده عنده القطع الأرجوانية التي تكلمنا عنها في
 أثناء حديثنا عن عبيد ، تلك القطع هي رسائل المشتركين في الحوادث وخطبهم
 وشيء من حوارهم . قال وهب : ولما أراد الله إتمام أمره ، وإظهار
 العرية ، أنزل كتابا مقطعا وهو :

شهد الله بالحق ، بسم الله الرحمن الرحيم ، شهد الله أنه لا إله إلا هو ،
 والملائكة وأولو العلم ، قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . حكم
 الحى القيوم أنه إذ اعتكر الزمان ، وكثر النسيان ، وحكم في ذرية آدم الشيطان

(١) ٣ .

(٢) ٢٦ .

وغلب هذا اللسان ، فعبدت الأوثان ، وقتل الولدان : أن يبعث الله محمداً بالعدل والحق والبيان ، يصدع بالقرآن ، وينصر الإيمان ، زمان ظهور السودان ، نبي لا نبي بعده ، ولم يخلف الله وعده^(١) .

وتذكرنا هذه القطع الأرجوانية بالشاعر الشعبي في المقاهي في مصر ، إذ نراه يقص حكايته بأسلوب بسيط منطلق ، حتى يأتي إلى حديث أبطال قصصه ، وخطبهم ، ورسائلهم ، فترى أسلوبه يرتفع ويحجم ، بل نراه يفخم من لهجته ، وينطلق بها متعملاً متروياً . ولا تكشف هذه القطع الأرجوانية من الحلى إلا السجع والازدواج وتوازن العبارات . ويبدو أن وهبا كان عارفاً باللغة وأساليبها الأدبية . يقول في شرحه للآية « لا عاصم اليوم من أمر الله » في أثناء كلامه عن نوح :^(٢) « والعرب تجعل فاعل في موضع مفعول قال الله : « في عيشه راضية » و « ماء دافق » أى مرضية ومدفوق .

وأخيراً نجد في تاريخ وهب ما وجدناه في مواعظه من إسرائيلييات تنفذ إليه وتشيع فيه ، وخاصة أن الموضوعات التي تناولها كانت تساعد على هذا الانتشار . وأظهر ما تتضح هذه الإسرائيليات في الجزء الأول من الكتاب الذي يعالج فيه المؤلف كيفية خلق العالم وآدم وأولاده حتى نوح عليه السلام وأبنائه الثلاثة . كما يشتد وضوحها أيضاً في تناوله لقصة بلقيس وسليمان . ويبدو أن وهبا كان يعرف العبرانية والسريانية ، فنراه يذكر الاسم وترجمته العربية ، فقينان « عبراني تفسيره باللسان العربي مشتري^(٣) » و « مهليل

. ٢٦ (١)

. ٢٤ (٢)

. ٢١ (٣)

عبراني وتفسيره باللسان العربي ممدوح^(١). « و « مالالي [سرياني] وتفسيره بالعربي مسيح الله^(٢) » .

ويلاحظ عليه الأستاذ كرنسكو Krenkow وهو يصف غزوات ذى القرنين قائلا: ^(٣) « هذا الشعب ينفذ إلى جابرصا ، وهذا الشعب يصل إلى هراة ومرو وسمرقند ، وهذا ينفذ إلى جاجا وبلخا وحابلجا وبارد ، وأرض يأجوج ومأجوج » ، يلاحظ عليه ملاحظة جدية بالاهتمام . يقول^(٤) : هذه الأسماء كلها محرفة في الأصل ، والمراد بجاجا مدينة چاج فيما وراء النهر . وهى بجيمين فارسين ، وقد عربت العرب اسم هذه المدينة فقالت : شاش . وبلخا محرف من بلخ بالحاء ، وحابلجا لعله محرف من جابلق . والظاهر أن هذه الأسماء كلها مأخوذة من كتاب باللغة الآرامية بحيث جاء في آخرها ألف . وأما بارد فلا أدري أى بلد يعنى بهذا » . فلو صدقت هذه الملاحظة لكان وهب يعرف الآرامية ، أو يأخذ عنمن يحسنها .

ولا يقتصر الأمر على ذلك ، بل نراه يذكّر بعض اللغات الأخرى مثل الحميرية حين يقول^(٥) : وكان يقال لخمير « العرنجيج » ، والعرنجيج : العتيق ، وحين يقول^(٦) : « ذو شدد بلغة حمير كقولك : ذو شطط » ، ومثل اللغة الحامية حين يقول^(٧) : « الشام اسم أعجمى من لغة بنى حام ، وهو طيب تفسيره بالعربي » .

(١) ٢١ .	(٢) ٢١ .	(٣) ٩٩ .
(٤) هامش ٩٩ .	(٥) ٥٦ .	(٦) ٧٨ .
		(٧) ٤٩ .

قد نخرج من هذه الشواهد ونحن على ما يشبه الاطمئنان من معرفة وهب باللغة العبرية والسريانية ، وفي نفسنا شيء من معرفته باللغة الآرامية والحميرية . ومما يزيدنا يقينا بمعرفته اللغات غير العربية ذلك القول في كثير من المراجع بأنه قرأ الكتب ، أو العدد منها ، وأن تفسيره للكلمات العبرية والسريانية كان صحيحا في أغلبه ، وربما استمد وهب بعض معارفه مما كان شائعا من قصص بين أهل الكتاب ، وإن لم يوجد في إنجيل أو تورا .

هذا هو وهب بن منبه في « كتاب التيجان » صورة مكبرة مهذبة من عبيد بن شرية ، صورة أحاطت بما تركه عبيد من الأخبار ، وأكثرت من الإضافات الأجنبية عن العرب الجاهليين ، وهي إضافات أملاها الإسلام والقرآن ، وإضافات أملاها الاتصال الشديد بأهل الكتاب ، وتقبل المسلمين لمعلوماتهم ومعارفهم . وإذن فوهب هو المؤرخ القصاص ، الذي تغنى بمفاخر وطنه ، وأشاد بها ملحمة نثرية بسيطة صريحة ، تلبس وشيا من الشعر والقرآن والرسائل والخطب والأحاديث المحبرة الجملة ، وقد صاغها الخيال في إطار أدبي جذاب .

وهذه فقرة من كتاب التيجان^(١) :

« ملك الهمال بن عاد

المعروف بندي شدد ، ملك متوج

وإنه لما مات لقمان بن عاد صار الملك إلى أخيه الهمال بن عاد بن اللطاط

ابن السكسك بن وائل بن حمير . والهال بن عاد هو ذو شدد ، فلما صار إلى همال ذي شدد دخل إلى المغارة التي دفن فيها أخوه شداد بن عاد ، فأخرج التاج وتزوج به . وكان لقمان غيبه في تلك المغارة ، لأنه لم يكن متوجاً ، كان متواضعاً لله . فلما ولي الهمال بن عاد أخذ الملك أخذاً شديداً ، فولى ذلك حيناً من الدهر ثم مات . وإنما قيل له ذو شدد بلغة حمير كقولك ذو شطط بن عاد بن مناخ أى ذو عطاء .

وينسب حاجي خليفة^(١) إلى وهب كتاباً آخر يسمى « كتاب الفتوح » .
ولكن المؤرخين الآخرين لا يذكرون عنه شيئاً آخر .

عاصم بن عمر :

رجع إلى المدينة لنجد عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري المتوفى عام ١٩٩ أو ١٢٠ هـ . وقد روى عاصم عن أبيه ، واشتهر بأحاديثه عن حياة الرسول عامة حتى وصفه ابن قتيبة بأنه « صاحب السير والمغازي »^(٢) ، وروى عنه محمد ابن إسحاق والواقدي .

وتوضح اقتباسات ابن سعد في طبقاته عناية عاصم بالفترة المكية من حياة الرسول ، إلى جانب عنايته بالفترة المدنية . كما توضح مقتطفات الطبري أنه اهتم بتاريخ الخلفاء الراشدين ، وخاصة أخبار فتنة عثمان . ويذكر عاصم سند رواياته في غالب الأحيان ، ولكنه يهمله كثيراً أيضاً ، ويتبع غيره في

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ٤ : ٣٨٧ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ .

رواية الأشعار على السنة المشتركة في الحوادث^(١) . وإنما يمتاز بأنه
لم يقتصر على جمع الحوادث وروايتها ، بل كان ييسر رأيه فيها ،
ويعلق عليها^(٢) .

وهذا مثال من أخباره في وصف بيعة العقبة^(٣) :

« قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة :

إن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن
عبادة بن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل
تدرون علام تباعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تباعونه على
حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم
مصيبية ، وأشرافكم قتلًا أسلمتموه ، فمن الآن ؛ فهو والله إن فعلتم خزي
الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على
نهيكة^(٤) الأموال ، وقتل الأشراف خذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .
قالوا : فإننا نأخذ على مصيبية الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك يا رسول
الله إن نحن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : ابسط يدك فبسط يده ،
فباعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم .

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٦٧ ، ٤ : ١٣ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ : ٨٩ .

(٣) نفس المرجع ٢ : ٨٨ . (٤) نهكة الأموال : نقصها .

الزهرى :

أشهر مؤرخى الجيل التالى هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى عام ١٢٤ هـ . وقد أمره خالد بن عبد الله القسرى بكتابة السيرة له^(١) ، كما أمره أيضا بكتابة كتاب عن القبائل العربية الشمالية ، ففعل ولم يتمه^(٢) . ومن الواضح أن قرة بن عبد الرحمن يعنى الكتاب الأخير بقوله : لم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب نسب قومه^(٣) . ويبدو أن الزهرى كان واسع المعرفة بالأنساب ، يقول عنه الليث^(٤) : « وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا » . ويخبرنا الزهرى نفسه أنه كتب « أسنان الخلفاء »^(٥) ، وهى عبارة عن قائمة يذكر فيها تاريخ وفاة الخلفاء وأعمارهم عند الوفاة ، ومقدار ملكهم ، كما يظهر من القطعتين اللتين اقتبسهما منها الطبرى . ونسب له شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى كتاباً يسمى « مشاهد النبى صلى الله عليه وسلم » رواه عنه يونس بن يزيد^(٦) ولم يصل إلينا من الزهرى كتاب خاص مستقل فى التاريخ ، على الرغم من كثرة مادونه لنفسه أو للأمويين ، حتى كثرت القصص عن هذا التدوين^(٧) . ولكن بعض

سنة
الفهر

- (١) الأصفهاني : الأغاني ١٩ : ٦٩ . (٢) نفس المرجع ٥٩ .
(٣) الذهبى : تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ٦٨ .
(٤) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٠ .
(٥) الطبرى : التاريخ ٢ : ٤٢٨ ، ١٢٦٩ .
(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ٨٨ .
(٧) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١٣٥ .

المتأخرين جمع الأحاديث التي اقتطفها من مدوناته كتب الأحاديث المتأخرة
في مجلد سماه « الزهريات ^(١) » .

ويبدو من الشذرات الباقية من كتابات الزهري في الطبقات خاصة أنه
تناول حياة الرسول عامة ، ولم يقصر نفسه على الغزوات الفعلية وحدها .
وقد تسربت إلى أخباره بعض الإسرائيليات ، حتى قال عنه الليث ^(٢) : « وإن
حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت : لا يحسن إلا هذا » . ويعزى إلى
الزهري الفضل في أنه كان أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر
في موضوع واحد لإدماجها في حديث واحد إجماعي يصدره بأسماء الرواة
مجمعين ^(٣) . وكانت هذه خطوة إلى الأمام في العرض التاريخي . وكان
الزهري أيضا أول من عنى بتدوين الأنساب ، فاتجه بذلك وجهه جديدة في
التاريخ . وقد سار الزهري على منوال غيره من المؤلفين في ذكر الإسناد
تارة ^(٤) ، وحذفه أخرى ^(٥) ، وفي العناية بإدخال الشعر في أخباره ^(٦) .

وللزهري فضل كبير على الحركة التاريخية ، إذ أنه نشر كتبه بين الجمهور ،
وحت على ذلك ^(٧) . « عن يونس قال الزهري : إياك وغلول الكتب .

(١) هوروفتس : كتاب المغازي الأولى ومؤلفوها ٦٧ .

(٢) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٠ .

(٣) ابن هشام : السيرة ٣ : ٣٠٩ .

(٤) أبو نعيم : الحلية ٣ : ٣٦٥ .

(٥) ابن هشام : السيرة ١ : ١٢ ، ٧٢ ، ٣٣٧ وغيرها .

(٦) ابن هشام : السيرة ٤ : ٥٩ ، ٢٣٨ وغيرها .

(٧) أبو نعيم : حلية الأولياء ٣ : ٣٦٦ .

قلت : وما غلوها ؟ قال : حبسها عن أهلها^(١) . وقد افتخر بنشر العلم فقال :
« ماصبر أحد على العلم صبري ، ولا نشره أحد نشرى^(٢) » .

وهذه فقرة من كتاب « أسنان الخلفاء » تظهر لنا طريقته فيه . قال
الطبري^(٣) : « عن هشام بن الوليد المخزومي أن الزهري كتب لجده أسنان
الخلفاء ، فكان فيما كتب من ذلك :

« ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين . وكانت ولايته ثلاث
سنين وستة أشهر ، في قول بعضهم ، ويقال : ثمانية أشهر » .

وهذه فقرة من حياة الرسول في مكة تتناول مبعثه صلى الله عليه وسلم^(٤)
« قال ابن اسحاق : فذكر الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة
رضي الله عنها أنها حدثته : أن أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من النبوة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرؤيا الصادقة ، لا يرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح .
قالت : وحجب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شيء أحب إليه من أن
ينخلو وحده » .

وأسلوب الزهري — كما يبدو من هذه الفقرات — سهل منطلق
جميل بسيط .

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ٣ : ٣٦٦ . (٢) نفس المرجع .

(٣) ٢ : ٤٢٨ . (٤) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٤٩ .

موسى بن عقبة :

ينقضى جيل الزهرى ، ويظهر جيل آخر ، كله من تلاميذه . ونبدأ بموسى ابن عقبة المتوفى عام ١٤١ هـ . وهو من المشهورين بمعرفة المغازى ، وألف فيها كتابا رواه عنه ابن أخيه اسماعيل بن إبراهيم المتوفى عام ١٥٨^(١) هـ . وقد ضاع هذا الكتاب إلا شذرات نحاول أن نتبين صورته منها . ويبدو أنه كان أصغر حجما من كتب المغازى الأخرى ، لأن مالك بن أنس يقول عنه^(٢) : « عليكم بمغازى موسى بن عقبة ... فإنه رجل ثقة طلبها على كبر السن ، ولم يكثر كما كثر غيره » . وقد أكد بعضهم لألويس شبرنجر Aloys Shprenger في دمشق أنه توجد منه نسخة هناك ، ولكنه لم يستطع أن يراها^(٣) .

ولكن وجدت في المكتبة البروسية الرسمية قطعة من هذه المغازى ، ترجمها الأستاذ ادوارد سخاو Edward Sachaw إلى الألمانية في عام ١٩٠٤^(٤) . ويتضح من هذه القطعة أن موسى لم يتناول المغازى بالمعنى الخاص بل تناول الهجرة أيضا . وقد اقتبس ابن سعد كثيرا منه عن طريق أستاذه

(١) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣١٠ .

(٢) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦١ .

(٣) كتب المغازى الأولى ومؤلفوها ٧١ .

(٤) سخاو : القطعة البرلينية من مغازى موسى بن عقبة (تقرير عن أعمال المجتمع البروسى للعلوم عام ١٩٠٤) .

الواقدي^(١) ، وعن طريق ابن أخى موسى السابق ذكره^(٢) . وتكشف لنا هذه المقتطفات أن مغازى موسى كانت تحتوى على قوائم بالمهاجرين إلى الحبشة ، وبالمشركين في بيعتي العقبة ، وبالمحاربين في بدر^(٣) ، فتدعم قول ابن حجر بأنه كتب هذه القوائم عندما رأى شرحبيل بن سعد يدخل في البدرين من لم يشهد بدرآ^(٤) . وكان الطبرى من الذين رجعوا إليه ، فاقتبس منه أخباراً يشير أكثرها إلى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين ، إلى جانب عهد الرسول^(٥) . ويشير زيد بن عمر إلى أن موسى بن عقبة اهتم بالتاريخ الجاهلى أيضاً^(٦) .

نرى مما سبق أن موسى بن عقبة ينفرد عن المؤلفين قبله بعنايته الزائدة بالقوائم ، وتدوينه لتاريخ الخلفاء الراشدين وبعض الأمويين ، بل التاريخ الجاهلى أيضاً . ويختص بمراعاته أكثر من غيره لنظام الإسناد^(٧) ، وإن تركه أحياناً^(٨) . ويعنى أيضاً بالأخذ عن مدونات من سبقه ، مثل ابن عباس^(٩)

(١) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ ، ٨ : ١٠ ، ١١ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ١٩١ وغيرها .

(٢) نفس المرجع ٢ : ١ ، ٣ : ١ وغيرها .

(٣) ابن سعد : الطبقات ٢ : ١ ، ٣ : ١ .

(٤) ابن حجر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٣٦١ .

(٥) ابن سعد . الطبقات ٥ : ٢٨٣ .

(٦) أبو الفرج : الأغاني ٣ : ١٦ .

(٧) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٥٠ ، ١٨٥١ ، ٢٠١٤ وغيرها .

(٨) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٧٥٥ .

(٩) ابن سعد : الطبقات ٥ : ٢١٦ .

كما يعنى بالوثائق المكتوبة^(١) ، ويتقبس بعض الأشعار^(٢) ، ويحاول ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً^(٣) . ويمتاز عروية أيضاً بعنايته بأخبار الحزب الزيرى . ولعل سبب ذلك أنه يكثر الرواية عن جده لأمه أبى حبيبة مولى الزير بن العوام^(٤) ، كما يروى عن علقمة بن وقاص الليثى الذى يبدو أنه كان فى جيش الزير وطلحة يوم الجمل^(٥) .

وهذه فقرة من تاريخه تبين لنا طريقة تناوله وأسلوبه^(٦) : « موسى بن عقبة عن أبى حبيبة مولى الزير قال : قال : لما قتل الناس عثمان رضى الله عنه وبايعوا علياً ، جاء على إلى الزير ، فاستأذن عليه ، فأعلمته به ، فسل السيف ووضعته تحت فراشه ، ثم قال : أئذن له . فأذنت له ، فدخل فسلم على الزير ، وهو واقف بنحوه ، ثم خرج . فقال الزير : لقد دخل المرء ، ما أقصاه . قم فى مقامه فانظر : هل ترى من السيف شيئاً ؟ فقامت فى مقامه ، فرأيت ذباب السيف فأخبرته ، فقال : ذلك أعجل الرجل . فلما خرج على سألته الناس ، فقال : وجدت أبر ابن أخت وأوصله . فظن الناس خيراً ، فقال على : إنه بايعه » .

ويظهر لنا فى هذه الفقرة نظرة الحزب الزيرى لمسألة الخلاف بين على

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ٨٠ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ٣ : ٢٤١ وغيرها .

(٣) هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ٧٣ .

(٤) الطبرى : التاريخ ١ : ٢٩٨١ ، ٢٩٩٨ وغيرها ،

(٥) نفس المرجع ٣ : ٣١٠ ، ٣١٣٧ .

(٦) نفس المرجع ٣ : ٣٠٧٣ .

والزبير ، أكثر مما يظهر أى شىء آخر . وهذا ما يلاحظ على موسى في أغلب أخباره ، التى يتبع فيها أخبار الزبيريين حتى عهد عبد الملك بن مروان .

سليمان بن طرخان :

تنقل الكتابة التاريخية إلى البصرة ليظهر فيها سليمان بن طرخان المتوفى عام ١٤٣ هـ . ولم تذكر المراجع القديمة التى بين أيدينا أنه ألف كتابا ، وإن كنا نرى اسمه يتردد فى الطبرى . ولكن الأستاذ فون كريم *Von Kremer* وجد مخطوطا يحتوى على مغازى الواقدى التى لا تصل إلا إلى إجلاء بن النضير من المدينة ، ثم تكمل بجزء من مغازى أبى المعتمر سليمان بن طرخان التيمى المسماة « السيرة الصحيحة كما يقول الناسخ ^(١) » . وتبدأ سيرة سليمان بالكلمة الأولى فى السطر ١٦ من الصفحة ٣٦٠ وتنتهى فى الصفحة ٤٣٧ . فهى تتألف من ٧٧ صفحة من النسخة المطبوعة .

ولا نستطيع من هذا الباقى من سيرته أن نحكم : هل تناول التاريخ الجاهلى ، وتاريخ النبى فى مكة ، أو اقتصر على المغازى وحدها ، وإن كان الاسم « السيرة » قد يجعلنا نميل إلى الظن بأنه تناول الفترة المسكية من حياة الرسول أيضا . ولكن الطبرى يذكر له خبرين عن خلق آدم ^(٢) ، وعن حرق إبراهيم ^(٣) ، ثم لا يذكر له شيئا فى حياة الرسول ، وإنما يرجع إليه ثانية فى عهد

(١) فون كريم : مغازى الواقدى ٤٣٨ ، والمقدمة ٢٣ .

(٢) الطبرى : التاريخ ٩١:١ .

(٣) نفس المرجع ٢٦٦ .

عثمان ، حيث يروى بعض ما حدث في الفتنة . ولا ندرى لهذا سبباً : أ كان الطبرى غير واثق بمغازيه ، أم لم تصل إليه ، أم لم يؤلف سليمان مغازى ، وهذه المغازى التى بين أيدينا محمولة عليه .

ويرى قارىء « سيرته » أن الأخبار موجزة مضغوطة منسقة منتظمة لا تسكثر خلالها الفواصل والزوائد كما نرى عند غيره من المؤرخين ، فهو لا يذكر الأسانيد ، ولا يعنى بالروايات المتعددة . وإنما يسير على رواية واحدة لا يتعدها . ويمتاز وصفه بالقوة والحياة ، يشعر القارىء أنه مشرف على المعركة يرى الأبطال ويشاركهم أحاسيسهم وأفعالهم ، كما يشعر بأن المؤلف لا يكتفى بمجرد وصف الأعمال وإنما يدقق فيها ويبسطها بسطاً صادقاً ، يجعلنا نستطيع أن نتميز ما يدور فى خلجات المؤمنين فى كل موضع من المواضع . وكثيراً ما تكون هذه الانفعالات فى غير صالح المسلمين^(١) .

ولكننا نراه يأتى بروايات غريبة فى الغزوات الكبيرة المعروفة ، تخالف ما أجمع عليه المؤرخون الآخرون . ولنذكر على سبيل المثال ذلك الدور الذى قام به نعيم بن مسعود الأشجعى فى غزوة الخندق . فسلیمان يراه من الجواسيس على النبى ، على حين يراه المؤرخون الآخرون من المؤمنين الذين خدموا النبى خدمة عظيمة ، وساعد على تفريق كلمة المشركين واليهود بخداعهم . وكذلك يأتى بروايات مخالفة فى غزوات بنى قريظة والحديبية وخيبر وموثة و وفاة الرسول . أما المؤلفون الآخرون فلا يعنون بذكر رواياته على الرغم

(١) انظر غزوة الخندق وغيرها .

من اهتمامهم بسرد غيرها من الروايات الكثيرة . ولا ندرى ما سبب هذا الإهمال ، إلا أن هناك ظناً يخامرنا ، وهو أن كثيراً من أخباره كان يصور المسلمين صوراً لا ترضيهم أو لا ترضى بعضهم^(١) . ويورد سليمان أخباراً عن العباس لا نجد لها عند غيره من المؤرخين^(٢) . وهي كلها في جانب العباس ، مما يغري المرء بالقول إنها من وحي العباسيين . ولكننا — بعد كل ذلك — نحب أن نشير إلى أن سليمان بن طرخان من المشهود لهم بالعدالة والفضل^(٣) .

ويعنى سليمان بإيراد الآيات القرآنية^(٤) ، وشرح مناسباتها التاريخية ، والاعتماد عليها ، كما يعنى أيضاً بالشعر^(٥) . ولكن هذا الشعر قليل متضائل بالنسبة لما عند غيره من الكتاب .

وهذه المغازى لها أهمية فوق كل ذلك ، إذ أنها أقدم كتاب تاريخي يتناول حياة الرسول ، سلم من الضياع ، ووصل إلينا شبه كامل ، فيما عدا الجزء الذي وجده بيكر من مغازى وهب . وهناك بعض الأمثلة التي تصور لنا طريقة تناوله للتاريخ ، يقول في وصفه لموقعة الخندق^(٦) : « فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أتاه المشركون ، فنزلوا به ، فاقتتلوا

(١) انظر غزوتي الخندق وخير . (٢) ٩٢ ، ٤٣٣ .

(٣) مقدمة فون كريمير . (٤) ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٢ وغيرها .

(٥) ٣٧٤ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٠٢ وغيرها . (٦) ٣٦٣ .

قتالا شديداً ، بلغ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كل مبلغ . فحصرهم حصاراً شديداً ارتاب منه المنافقون ، وشكوا في نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وأساءوا اللفظ . فقام رجل من الأنصار يقال له مغيث بن بشير ، فقال : أوعدنا محمد أن يفتح قصور فارس والروم واليمن ، ولا يبرز أحدنا إلى الحلاء من رحله ؟ والله لغرور : وتابعه على ذلك رهط من المنافقين ، فأنزل الله تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً . وزعموا أن قبيلتين من الأنصار ، بنى حارثة بن الحارث وبنى سلمة ، هما أن يخلوا مراكزهم ، وقالوا : يابى الله ، إن بيوتنا خلية ، نخاف عليهما السرقة . فلم يزل يقول الله تعالى : « يقولون إن بيوتنا عورة ، وما هي بعورة ، إن يريدون إلا فراراً » . وذكر في سورة أخرى فقال : « إذ همت طائفتان منكم أن تقتتلا ، والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » . فقالوا بعد ذلك : مانحِب أن نهم بالذي هممنا به إذ كان الله ولينا .

ويظهر أسلوب سليمان في هذه الفقرة سهلاً بسيطاً سيالاً ، حاراً ، صادقا ، موجزاً .

وهذه فقرة مما اقتبسها الطبري من سليمان^(١) : « أبو معتمر سليمان التيمي قال ثنا أبي قال ثنا أبو نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري ، قال : سمع عثمان أن وفد أهل مصر قد أقبلوا ، قال : فاستقبلهم وكان في قرية له خارجة من المدينة ، أو كما قال ، فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هوفيه ، قال : وكره أن يقدموا عليه المدينة أو نحوها من ذلك ، قال : فأتوه ،

(١) الطبري : التاريخ ، ١ ، ٢٩٦٣ .

فقالوا له : ادع بالمصحف ، قال : فدعا بالمصحف ، قال : فقالوا له : افتح السابعة
قال : وكانوا يسمون سورة يونس السابعة ، قال : فقرأها حتى أتى على هذه
الآية « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ،
قل الله أذن لكم أم على الله تفترون » . قال : قالوا له : قف . فقالوا له : أرأيت
ما حميت من الحمى ، الله أذن لك أم على الله تفتري ؟ قال : فقال : امضه ،
نزلت في كذا وكذا . قال : وأما الحمى فإن عمر حمى الحمى قبلى لإبل
الصدقة ، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في إبل
الصدقة ، امضه ... »

ويلاحظ في هذه الفقرة ، وفي فقرة ثانية في الطبرى^(١) تناول تكملة
الحادثة ، إلا كثار من اعتراض لفظ « قال » في السياق ، مما لا نجد مثله كثيراً
عند الطبرى ، مما يجعلنا نرجح أنه من خصائص كتاب سليمان الذى أخذ
عنه الطبرى ، ولكن المغازى التى بين أيدينا ليس فيها هذا الاعتراض الكثير
ونحن لا نستطيع أن نعمم هذا الحكم من فقرتين خُصِب . لأن الفقرات
الباقية في الطبرى من القصر بحيث لا تظهر فيها هذه الظاهرة .

عوانة بن الحكم :

من مؤرخى العراق أيضاً أبو الحكم عوانة بن الحكم الضرير^(٢) الفقيه
المتوفى عام ١٤٧ هـ أو ١٥٨ هـ . ونسب له ابن النديم^(٢) في « الفهرست »

(٢) ابن النديم : الفهرست ٩١ .

(١) نفس المرجع ٣٠٠٦ .

كتابين : « كتاب التاريخ » و « كتاب سيرة معاوية وبنى أمية » . وقد شك بعض العلماء في الكتاب الأخير ، ونسبه لمنجاب بن الحارث التميمي المتوفى عام ٢٣١ .

- وروى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي أن عوانة كان
— عثمانيا يضع الأخبار لبني أمية . وترجع دائرة المعارف الإسلامية ذلك الرأي^(١) .
ولكن الهيثم بن عدي يروي خبراً عنه حين قتل محمد بن عبد الله بن الحسن
ابن علي بن أبي طالب بالمدينة ، وكيف أنه ترحم عليه وذكر فضله ، مما يدل
علي أنه كان يظهر العثمانية تقية منه ، وخاصة أنه في نهاية الخبر السابق يستفسر
من الجالسين إذا ما كان أحد عيون الأمويين حاضرا ، فلما يتأكد من عدم
حضور أحد يمدح محمداً مدحا رائعا .

- ولا تؤيد الأخبار الباقية لنا منه عند الطبري^(٢) والبلاذري^(٣) تلك
التهمة ، إذ لا يظهر فيها أي هوى للأمويين . ولعل الطبري والبلاذري
لم يذكرنا تلك الأخبار التي تظهر فيها عثمانيته وأمويته . ويجب أن نحترس
في هذا الرأي لأننا نجد كثيراً من التهم توجه لعوانة تريد الخط من قدره ،
مثل تلك الأخبار التي تجعله لا يميز بين الشعر والقرآن^(٤) ، على الرغم من
قولهم إنه كان عالماً بالشعر والفصاحة^(٥) ، وعلى الرغم من القصة السابقة

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٩٤ . ودائرة المعارف الإسلامية ، مادة «عوانة» .

(٢) الطبري : التاريخ ١ : ١٨٢٧ ، ٢٧٥٥ ، ٣٢٠٤ وغيرها .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ٦٢ ، ٩٤ ، ١٨٢ ، ٢٤٠ وغيرها .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٩٤ .

(٥) نفس المرجع ٦ : ٩٥ .

التي يمدح فيها محمد بن عبد الله بالآية « التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكون الساجدون والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ،
والحافظون لحدود الله » ، مما يدل على معرفة بالقرآن أيضاً . كل هذه
التهم تدلنا على أنه كان كثير الخصوم ، وإن لم نستطع معرفتهم ، وسبب
خصومتهم له ، وإن خامرنا الظن بأن عثمانيته المزعومة ربما كانت سبب
هذه العداوة .

ولا تتناول المقتطفات الباقية من تاريخ عوانة شيئاً من حياة الرسول ،
وإنما تبدأ ببيعة أبي بكر ، وتصف الردة وفتح العراق ، وفتح بلدان فارس
المتخلفة مثل المدائن وجلولاء وهمذان ، ووقعة الجمل ، وحروب علي ومعاوية ،
والحسن ومعاوية ، وتاريخ العراق ، وقتل الحسين ، وثورة عبد الله بن
الزبير ، وتنتهي الأخبار بخروج ابن الأشعث وقتل ابن القرية^(١) .

ونرى عوانة في هذه المقتطفات لا يعنى بالأسانيد كثيراً ، ويبحث عن
المواد في كل مكان حتى ليأخذها من أقارب المشتركين في الحوادث . ويعنى
كذلك بإيراد الأشعار .

وهذه فقرة من أخباره^(٢) : « يحيى بن آدم عن عوانة بن الحكم عن جرير
بن يزيد عن الشعبي قال ، قال عبد الله بن مسعود : لقد قمنا بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه ، لولا أن من الله علينا بأبي بكر :
اجتمع رأينا جميعا على ألا نقاتل على بنت مخاض وابن لبون ، وأن نأكل

(١) انظر فهرست الطبري والبلاذري .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ٩٤ .

قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، وعزم الله لأبي بكر رضى الله عنه على قتالهم ، فوالله ما رضى منهم إلا بالخطبة الخزية أو الحرب المجلية . فأما الخطبة الخزية فأن أقرؤا بأن من قتل منهم فى النار ، وأن ما أخذوا من أموالنا مردود علينا ، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم .

وأسلوب عوانة منسب منطلق ، يعنى فى بعض الفقرات بالحوار ، وبالشعر ، وما يدور بين أبطال الحوادث .

محمد بن اسحاق :

أخيراً يظهر محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥٠ هـ تقريباً ، فيؤلف كتاباً يغطى به على جميع هؤلاء المؤرخين المتقدمين ، ويجذب أنظار المتأخرين على الدوام . ويسمى كتاب ابن اسحاق هذا « كتاب المغازى » ، ولم يصل إلينا الكتاب بصورته الأصلية ، ولكن وصل إلينا قسط عظيم منه فى سيرة ابن هشام . ويقال إن مكتبة كوبرلى بالأستانة تحتوى على مخطوطة من النسخة الأصلية من الكتاب ، ولكن الأستاذ هوروفتس يرى أننا إذا ما عاينا هذه المخطوطة وخصناها فحصاً دقيقاً ، وجدناها نسخة من كتاب ابن هشام لابن اسحاق^(١) .

ويقال^(٢) إن سبب تأليفه المغازى أنه دخل ذات يوم على المنصور وبين يديه ابنه المهدي ، فقال له المنصور : أتعرف هذا يا ابن اسحاق ؟ قال : نعم ،

(١) هوروفتس : المغازى الأولى ٨٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة ص ط .

وغيره من الكتب

هذا ابن أمير المؤمنين . قال : اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا . فصنف ابن إسحاق هذا الكتاب ، فقال له المنصور : لقد طولته ، يا ابن إسحاق ، اذهب فاخصره . وحفظ المنصور الكتاب الكبير في خزائنه .

ولكن الأستاذ فيك^(١) Fück يرى أن ابن إسحاق لم يؤلف كتابه بأمر من الخليفة ، ولا في بغداد أو الحيرة ، وإنما في المدينة قبل إقامته لدى العباسيين ويستدل على ذلك بأن رواته الذين أخذ عنهم جميعاً مديون ومصريون ، ولا يذكرونهم أحد من العراقيين ، كما نجد أحد تلاميذ ابن إسحاق المدينيين يروي الكتاب ، وذلك هو إبراهيم بن سعد^(٢) المتوفى عام ١٨٤ هـ . بل نرى في الكتاب حوادث ما كان يرضى لذكرها العباسيون مثل تدوينه اشتراك العباس في بدر إلى جانب الكفار ، وأسر المسلمين له^(٣) ، ذلك الخبر الذي حذفه ابن هشام فيما بعد خوفاً من العباسيين . وربما أجرى ابن إسحاق بعض التغييرات الإضافية الطفيفة في الكتاب إرضاء للخليفة مثل رواياته عن مناصرة العباس للإسلام ، أو اعتناقه له سرّاً^(٤) . وإن كانت هذه الروايات أيضاً رواها عنه تلميذه المديني إبراهيم بن سعد ، مما يجعلنا نعتقد أنه لم يجرها في العراق للمرة الأولى .

وعلى الرغم من عدم وصول النسخة الأصلية من الكتاب إلينا ، وعلى

(١) فيك : محمد بن إسحاق .

(٢) هوروفتس : المغازي الأولى ٨١ ، ٨٢ .

(٣) الطبري : التاريخ ١ : ١٣٤١ ، ١٣٤٤ . وابن سعد : الطبقات : ٧٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة ٢ : ٢٠١ .

الرغم من حذف ابن هشام لأجزاء كثيرة منه ، فإننا نستطيع تكوين صورة قريبة من السكال عنه ، بفضل المقتطفات العديدة عند الطبري والمؤرخين المتأخرين ، والتي قد تكون محذوفة عند ابن هشام . ويساعدنا على تكوين الصورة تصريح ابن هشام بما أجراه من تغييرات في الكتاب ، إذ يصدره بقوله^(١) : « وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولده ، وأولادهم لأصلاهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ، ولا شاهدا عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به » . وكان ابن هشام دقيقاً في تصريحه بكل ما يفعله من زيادة أو حذف على الدوام ، وفيما عدا هذه التغييرات لا يجري أى عمل من عنده في النص الأصلي ، وإنما يرويه كما هو .

(١) نفس المرجع ٤ : ١ .

ويظن أن الكتاب كان في أصله مقسماً إلى ثلاثة أجزاء : المبتدأ ، والمبعث ، والمغازي ، أما المبتدأ فيتناول التاريخ الجاهلي . وقد خص ابن هشام هذا الجزء بالحذف أكثر من غيره ، ولكن الطبري حفظ جزءاً كبيراً منه ، في تاريخه وتفسيره وخاصة ما يتعلق بالأنبياء ، كما حفظ الأزرقي أخباراً كثيرة تتناول تاريخ مكة القديم ، ووعى كتاب عبيد بن شريفة بعض أخباره كما ذكرنا من قبل .

وينقسم هذا الجزء إلى أربعة فصول : يتناول أولها تاريخ الرسائل السابقة على الإسلام منذ خلق العالم حتى ظهور عيسى . ويرجع ابن إسحاق في هذا الفصل إلى وهب بن منبه ، وابن عباس ، وأهل الكتاب ، بل التوراة ذاتها ، إلى جانب رجوعه إلى القرآن . ويورد فيه أخبار أهل الكتاب ، والقبائل العربية التي ذكرها القرآن مثل عاد وثمود ، بل التي لم يذكرها القرآن مثل طسم وجديس . ويتناول الفصل الثاني تاريخ اليمن في العصور الجاهلية . وسبب عنايته بهذا التاريخ وجود الإشارات العديدة في القرآن إليهم ، مثل إشاراته إلى أهل الأخدود ، وأصحاب الفيل . وقد وعى ابن هشام والطبري جزءاً كبيراً من هذا الفصل . وأما الفصل الثالث فيتناول القبائل العربية وعبادة الأصنام . ويتناول الرابع أجداد النبي المبشرين وديانة أهل مكة . ولا يعنى ابن إسحاق في هذا الجزء بالأسانيد إلا نادراً ، وأغلبها في الفصل الأول .

أما المبعث فيشمل حياة النبي في مكة ، والهجرة ، وربما العام الأول من نشاطه في المدينة ، ونراه في هذا الجزء يصدر الأخبار الفردية بموجز حاولها ، ويدون مجموعات كاملة من القوائم : فقائمة لمن أسلم من الصحابة بدعوة

أبي بكر (١) ، وأخرى بالمهاجرين إلى أرض الحبشة (٢) ، وثالثة لمن عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة (٣) ، وأخرى وأخرى مما يطول حصره . ويوجد في هذا الجزء وثيقة انفرد بها ابن إسحاق من بين المؤرخين الآخرين ، وهي معاهدة النبي الأولى ، التي كتبها لينظم التعاون بين المهاجرين والأنصار واليهود ، بعد هجرته إلى المدينة مباشرة . ويعنى ابن إسحاق في هذا الجزء بالترتيب الزمني للحوادث ، كما تزداد عنايته بالأسانيد التي يرجع معظمها إلى شيوخه المدنيين .

وأخيراً المغازي ، وهي تتناول حياة النبي في المدينة منذ أول سهم أطلق في الحرب إلى وفاته صلى الله عليه وسلم . وتتلأ الغزوات الحربية هذا الجزء ، فلا يستطيع المؤلف أن يفصل الكلام إلا عن مرض النبي الأخير ووفاته . ويسبر ابن إسحاق في هذا الجزء على خطة رسمها لنفسه ولم يتجاوزها ، إذ يبدأ الخبر بملخص حاو لمحتوياته ، ثم يتبعه بنجر من جميع الأقوال التي أخذها من رواته ، وفي النهاية يكمله بما جمعه هو نفسه من المصادر المختلفة . وتكثر القوائم أيضاً ، فمن حضر بدرأ من المسلمين ، ومن استشهد من المسلمين يوم بدر ، ومن قتل بيدر من المشركين ، وما مائل ذلك في الغزوات المختلفة . ويلتزم ابن إسحاق هنا إيراد الأسانيد ، وجميع رواته من المدينة ، وأهمهم الزهري وعاصم بن عمر وعبدالله بن أبي بكر بن حزم ، الذين أمدوه بما ساعده في ترتيبه الزمني للحوادث . وقد زاد ابن إسحاق المادة التي

(١) ابن هشام : السيرة ١ : ٢٦٧ .

(٢) نفس المرجع ٣٤٤ .

(٣) نفس المرجع ٢ : ٣ .

أخذها منهم بما جمعه بنفسه من غيرهم من الرواة ، ومن أقارب المشتركين في الحوادث المؤرخة .

وقد لقيت هذه السيرة منذ ظهورها عناية كبيرة ، فرواها خمسة عشر تلميذاً لابن إسحاق كما يقول فيك (١) . أما ابن هشام فكان يرجع إلى رواية البكائي . وأما الطبري فكان يرجع في الغالب إلى رواية سلمة بن الفضل المتوفى عام ١٩١ هـ . وأما ابن الأثير في «أسد الغابة» وابن حجر في «الإصابة» فكانا يرجعان إلى رواية يونس بن بكير (٢) المتوفى عام ١٩٩ هـ . ثم كان الناس إلى اليوم يرجعون إليها في نسخة ابن هشام بعد ظهور هذه .

ونرى ابن إسحاق يرجع في سيرته إلى العلماء من غير المسلمين في أخباره عن الحوادث اليهودية والمسيحية والفارسية . ولذلك نراه يذكر بين رواته « بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول (٣) » أو « أهل التوراة (٤) » أو « من يسوق الأحاديث عن الأعاجم (٥) » . ويعد هذا تحولا خطيراً من مدرسة المدينة التي لم تكن تقبل مثل هذه الأخبار ، ولا مثل هؤلاء الرواة فابن إسحاق أول من اقترب بمدرسة المدينة إلى مدرسة اليمن في قبول هذه الأخبار ، حتى إننا نراه يأخذ بعض الأخبار عن وهب بن منبه ، بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيعطينا فقرات من العهدين القديم والجديد مترجمة ترجمة حرفية . وعنى ابن إسحاق بالرجوع إلى الوثائق والمدونات ، كما حاول أن يذكر الأسانيد . ولكن مادته الكثيرة المتنوعة اضطرتة إلى توسيع دائرة رواته ،

(١) هوروفتس: المغازي الأولى ٨٧ . (٢) نفس المرجع ٨٧ .

(٣) الطبري : ١٤٠ . (٤) الطبري : التاريخ ١ : ١٤١ ، ٤١٣ .

(٥) ابن هشام : السيرة ١ : ٣٢٨ .

وقبول بعض الأحاديث غير المرضية والإخلال بنظام الأسانيد ، مما أزعج مدرسة الحديث وهالها ، فكانت له التهم ، وسحبت منه ثقتها (١) .

وينفرد ابن إسحاق عن باقي المؤرخين بكثرة الأشعار التي أدخلها في كتابه كثرة أفزعت معاصريه ومن بعدهم ، إذ لم يكن يتحقق من صحة الشعر بل يدخل ما يحصل عليه دون تحقيق . ولذلك نجد عنده أشعاراً منتحلة ظاهراً انتحالها ، مثل تلك التي قبلت في عهد عاد وثمود (٢) . ولكن بعض العلماء (٣) اعتذر عنه بأنه اقتبس هذه الأشعار لتزيين تاريخه لاصحتها عنده فهو ما كان يتمسك بأنها صحيحة لو ثبت له غير ذلك ، ولكن فن الكتابة التاريخية كان اعتاد إدخال الشعر للتحلية منذ الجاهلية . كما أنه اعتذر هو عن نفسه بأنه ليس عالماً بالشعر وأنه يدون ما يحمل إليه (٤) .

ولكن ابن إسحاق غاية في النزاهة في تاريخه ، يدون آراء المذاهب المتعادية بكل أمانة وبدون تحيز ، حتى لقد روى أشعار المشركين في هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم (٥) ، فاضطر ابن هشام أن يلطف من حدة بعض هذه الأشعار (٦) .

وبمتاز ابن إسحاق بأنه لم يكن أول من عرض فترات حياة الرسول باتساق في كتابه فحسب ، بل وسع أفق هذه السيرة ، فجعلها تاريخاً للرسالة

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٣٩٩ .

(٢) الطبري : التاريخ ١ : ٢٣٦ وما بعدها .

(٣) هوروفتس : كتب المغازي الأولى ومؤلفوها ٩٣ .

(٤) ابن سلام : طبقات الشعراء ٤ .

(٥) انظر شعر ابن الزبير في بدر وأحد في السيرة .

(٦) ابن هشام : السيرة ٢ : ٢٤٤ .

الإلهية عامة ، فأدخل فيها تاريخ الأنبياء المتقدمين . ويتحلى كذلك بتلك الحسنى الى نحلى بها أستاذة الزهرى من قبل ، وأعنى بها العناية بربط الأحاديث بموجز يربط بينها ويحوى ما تشتمل عليه من أخبار ، والعناية بتأليف خبر عام موحد من الروايات المختلفة . وهو يعطينا فى بعض الأحيان تعليقات على الحوادث برأيه . ويظهر ابن إسحاق فى سيرته كاتباً ساحراً . يعرف كيف يجمع مادته بطريقة تجذب انتباه القارئ على الدوام ، ويصور لنا الشخصيات التى يصفها بحيث تبرز أمامنا كأننا نراها رأى العين . ومهما اختلفت وجهات النظر فى سيرته ، فإنها تقف فوق مستوى سام جداً ، بل تزداد قيمتها حين نعرف أنها من أقدم الكتب العربية النثرية التى وصلت إلينا .

ويدو أن ابن إسحاق لم يكنف بتاريخه الجاهلى . بل أراد أن يكمل التاريخ الإسلامى أيضاً ، « فألف كتاب الخلفاء^(١) » . ولكن هذا الكتاب فقد ، ولم يصل إلينا منه غير فقرات عند الطبرى ، تدون حوادث وقعت فى عهد الخلفاء الراشدين ، وعثمان خاصة ، بل بعض حوادث العهد الأموى أيضاً^(٢) . ومع ذلك ليست هذه الفقرات كافية لأن تعطينا صورة واضحة نحكم بها على الكتاب .

وهذه فقرة من مغازيه فى وصف غزوة مؤتة^(٣) : « بعث رسول الله صلى الله

(٣) ابن النديم : الفهرست ٩٢ . وياقوت : معجم الأدباء ٦ : ٤٠١ .

(٢) الطبرى : التاريخ ١ : ١٨٢٣ وما بعدها . والبلادى : فتوح البلدان ٢٧٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ وغيرها .

(٣) ابن هشام : السيرة ٤ : ١٥ .

عليه وسلم بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد
ابن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد جعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن
أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف . فلما حضر خروجهم
ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله
ابن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ، فقالوا :
ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم ، ولكني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها
النار « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فليست أدري
كيف لي بالصدر بعد الورود . فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ،
ورددكم إلينا صالحين . فقال ابن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة	بمحربة تنفذ الأحشا ، والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثي	أرشده الله من غاز وقد رشدا

الفصل الثالث

مظاهر الكتابة التاريخية

رأينا أن الكتابة التاريخية العربية نشأت من تيارين مختلفين :

١ — تيار قديم يتألف من القصص الخيالية والأساطير الشعبية المأثورة عن قدماء العرب التي كان يرويها القصاص المتنقلون عن العرب الشماليين وأنسابهم وأيامهم ، وعن ملوك العرب الجنوبيين وفتوحاتهم . وهى قصص لخمها وسداها الخيال المبالغ ، تكثر بها الأشعار ، التي كانت في بعض الأحيان وخاصة في الأيام المحور الذي تدور عليه القصة النثرية ، حتى إنه عندما نسيبت تلك الأشعار ، اندثرت تلك القصص ، فاضطر القصاص إلى استحداث أشعار جديدة وإحاطتها بقصص مبتكرة عن هذه الأيام . ولا تعتمد هذه القصص على توقيت تاريخي لحواادثها ، بل تتناول الأحداث الهامة ، والحروب خاصة ، دون ربط بينها ، ودون أن تنظم البحث في المجرى التاريخي العام . ويتشمل هذا التيار الخيالي في العهد الإسلامي في عبيد بن شربة ووهب ابن منبه .

٢ — والتيار الثانى جديد استحدثه الإسلام ، وهو تيار السيرة ، الذي يتكون من أخبار دقيقة مضبوطة ، متفرعة من علم الحديث ، ولذلك نالها ما ناله من نقد وتمحيص . وكانت هذه السيرة تتألف من القصص الصحيحة

والخيالية التي أحاطت بشخص الرسول بسبب إجلال المسلمين له . وأخذ المؤرخون يجمعون هذه القصص ويركبوها ، ويربطون بينها ، مستعينين بالآيات القرآنية .

وقد لعب التيار الأول ، وخاصة فرع الأيام منه ، دوراً في هذا التيار ، وخاصة في الفترة المدنية من حياة الرسول التي تمتلئ بالغزوات . ويظهر هذا الدور في طريقة تناولهم لهذه الغزوات ، فإنها تشبه طريقة تناول القصص القدماء لأيام الجاهليين . بل لعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمثل في السير دور البطل في قصص الأيام الجاهلية . ونذكر إلى جانب هذا كله آثاراً يهودية ومسيحية ، بل آثاراً فارسية ضئيلة ، وجدت أيضاً في هذه السيرة . وتبين هذه الآثار جميعاً عند وهب بن منبه الذي تعتبر كتاباته روايات تاريخية . ولسكن تيار السيرة كان له صبغة علمية دقيقة في المدينة أكثر منها في أى موطن آخر ، لارتباط المؤرخين فيها بالأحاديث الصحيحة أكثر من المؤرخين الآخرين ، ويظهر هذا التيار العلمى الدقيق عند أبان وعروة .

وهكذا نرى أن الكتابة التاريخية نشأت نشأة عربية خالصة ، لا يد فيها للفرس أو اليونان . فهذه الكتابة بجميع صورها استمرار لما كان يوجد في الجاهلية ، أو تفرع لعلم الحديث العربى الخالص . وكان أوائل المؤرخين عرباً ، سواء كانوا من الجنوب مثل عبيد ، أو من الشمال كأبان وعروة . ولكن هذه الحركة العربية ما لبثت أن تأثرت بمؤثرات خارجية من أهل الكتاب والفرس ، بل صار جميع المؤرخين من الموالى في أواخر القرن

الثاني من الهجرة . وإذن فالتاريخ الإسلامى يخالف كثيراً من العلوم الإسلامية الأخرى فى نشأته العربية الخالصة ، ولكنه لا يلبث أن يقع فى أيدي الموالى مثل جميع العلوم الإسلامية الأخرى .

وأخذت هذه التيارات التاريخية المختلفة فى التطور ، فنجد التاريخ القبلى الجاهلى أو الأيام والأنساب يعنى بها فى العراق خاصة ، ويدخلها علماء اللغة فى نطاق أبحاثهم إذ أنها تعينهم على فهم الأشعار التى يريدون جمعها وشرحها . ويتمثل لنا جهد اللغويين فى هذه الناحية فى نقائض أبى عبيدة المتوفى عام ٣٠٩ هـ ، التى يروى فيها أخبار الأيام ، ويطيل فى ذلك . أما العناية بالأنساب فتتمثل فى محمد بن السائب الكلبي المتوفى عام ١٤٦ هـ ، وغيره من النسابين .

ونجد القصص الخرافية الشعبية تستمر فى الوجود ، فيظهر عبيد بن شربة الذى يعنى بتاريخ القبائل البائدة من العرب ، ووهب بن منبه الذى يعنى بتاريخ اليمن وأهل الكتاب ، ويسير على النمط الجاهلى المأثور فى القصص الشعبية الخرافية المغرقة فى الخيال .

وأما تاريخ السير والمغازى المولود فى المدينة ، والمتفرع من الحديث فقد تأثر به فى بادىء الأمر ، فظهر الإسناد عند أول كاتبين فيه ، وهما أبان عروة ، وإن لم يصر ضربة لازم بل كانا يتجاهلانه كثيراً . وأخذت السير والمغازى تتطور سريعاً ، فنجد الزهرى يخطو بالتاريخ خطوة بارعة إلى الأمام ، إذ يحاول الربط بين الأحاديث ، بل يحاول تأليف خبر واحد من الأحاديث المختلفة بعد إدماجها ، كما يحاول أن لا يجعل من التاريخ وقفاً

على فئة معينة من الناس ، وإنما ينشره بين الجمهور كله . هذا إلى جانب عنايته بالأنساب ، وخاصة أنساب قومه .

ويشرع مؤرخو المدينة في الالتفات إلى ميادين تاريخية أخرى على يد عروة وموسى بن عقبة ، إذ يمدان البحث فيشمل تاريخ الخلفاء الراشدين ، ثم الأمويين ، وكان ذلك الامتداد من تأثير السيرة أيضا .

ويتوج هذا التطور بمحمد بن إسحاق المؤرخ الحقيقي ، الذي يمثل نهاية تطور السيرة ذات النموذج الديني عند المحدثين ، وذات النموذج الملحمي عند القصاص الشعبيين ، والذي يمد بحثه إلى آفاق بعيدة لم يرها المدنيون من قبل ، وأعنى بها تاريخ الجاهلية ، وتاريخ النبوات قبل محمد عليه الصلاة والسلام ، وتاريخ الخلفاء بعده . فمحمد بن إسحاق هو المؤرخ الذي تتمثل فيه كل التيارات التاريخية الموجودة في عصره .

وتمتاز الحركة التاريخية العربية بعدة ظواهر ، نحاول أن نسجل بعضها هنا غير ما ناقشناه من قبل . وأول هذه الظواهر أن المؤرخين لم يكونوا * موظفين حكوميين ، وإنما كانوا أناسا عنوا بالتاريخ لمجرد الرغبة الشخصية ، وحباً في ذلك العلم . ولذلك نجدهم يؤلفون ما يحلو لهم من كتب ، وعما يحلو لهم من حوادث ، دون أن تصدر إليهم الأوامر بتناول أمر من الأمور ، وترك آخر ، إلا في أحوال نادرة كان يلتمس الحكم فيها من المؤرخ معالجة بعض الأمور التي تليد لهم . وضمن لهم ذلك حرية الآراء ، وصدق تناول ، والنزاهة في معالجة الأحداث ، وخاصة أن أكثر هؤلاء المؤرخين كانوا رجال فقه وحديث .

وهاك مثالا يبين مقدار استقلال هؤلاء المؤرخين ، وشجاعتهم في الثبات †

على آرائهم ، وعلى ما يعتقدونه صدقا . روى الشافعي عن عمه قال (١) :
دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك ، فقال : من الذي تولى كبره
منهم ؟ يشير إلى الآية في حديث الإفك ، قال : عبد الله بن أبي بن سلول ،
فقال : كذبت ، هو علي ، وابن شهاب ، من هو ؟ ، قال : عبد الله بن أبي ،
فقال : كذبت ، هو علي . قال : أنا أ كذب ، لا أبأ لك ، فو الله لو ناداني
مناد من السماء : إن الله أحل الكذب ما كذبت . حدثني سعيد بن المسيب ،
وعروة ، وعبيد الله ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : إن الذي تولى كبره
عبد الله بن أبي . قال : فلم يزل القوم يغرون به ، فقال له هشام : ارحل ،
فو الله ما ينبغي لنا أن نحمل عن مثلك ، قال : ولم ؟ أنا اغتصبتك على نفسي
أو أنت اغتصبتني ؟ خفل عني ، قال : لا ، ولكنك استدنت ألف ألف ،
فقال : قد علمت ، وأبوك قبلك ، إني ما استدنت هذا المال عليك
ولا على أبيك .

وكان هؤلاء المؤرخون علماء يدرسون تلاميذ من الشعب ، ويؤلفون
كتبهم لهؤلاء التلاميذ ، وللشعب أيضا . غير معتمدين على الخلفاء ، في الغالب ،
إلا عند الشدائد .

والظاهرة الأخرى هي صحة الأخبار العربية عن الحوادث الإسلامية
خاصة ، وقد أتتهم هذه الصحة من الطريقة التي عاجلوا بها هذه الأخبار ،
فهم لم يأخذوا إلا عن العدول الثقات ، واتبعوا في ذلك ما اتبعه علماء الحديث
في تقدمهم ، فسلمت لهم مجموعة كبيرة من الحوادث . وأنت هذه الصحة أيضاً

(١) الذهبي : تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ٧٢ .

الكتب، سراجها وكتبها

من ابتكارهم التوقيت الكامل ، حتى كانوا يوقتون الحوادث بالأيام والشهور والأعوام . وذلك مما يدعو إلى التدقيق في الأخبار وصحتها . حقا إن هذا التوقيت بدأ ضعيفا مضطربا ، ولكن الروايات المختلفة من المصادر المتباينة جعلتهم يطمئنون إلى بعض التواريخ ، ويستطيعون أن يتحققوا من صحتها .

ولكن هذه الروايات الكثيرة التي كانت تعتمد غالبا على الذاكرة سببت بعض وجوه من النقص والفوضى . فإن النسيان اعتري بعض هؤلاء المؤرخين فجعل بعض رواياتهم يضطرب ، ويسوده الفوضى . ولكن على الرغم من هذا يجب أن نقول إن تلك الظاهرة كانت نادرة ، وكان المؤرخون يكتشفونها سريعا بفضل الروايات الأخرى الآتية من مصادر مخالفة للأولى .

وأدت العناية بالروايات المختلفة والأسانيد المتنوعة إلى التكرار إلى درجة الإملال ، فالحدث الواحد يوصف عدة مرات ، دون أى زيادة أو تفصيل ، على حسب الأسانيد المختلفة التي روته . ولكن هذه الظاهرة - فيما يبدو - كانت سائدة في الكتب الكبيرة وحدها . أما الرسائل الصغيرة فيبدو أنها نجت من هذه الظاهرة ، كما يبدو من سيرة سليمان بن طرخان .

وجعلهم تأثرهم بالأحاديث يصبون كل تقدمهم على الأسانيد دون النصوص مما يسر الانتحال والاختراع ، فإن الإسناد يمكن اختراعه بسهولة . وهكذا يمكن القول بدخول بعض الموضوعات في الميدان التاريخي ، وإن كانت هذه الظاهرة يجب النظر إليها على أنها ضعيفة نادرة بسبب تقدم الشديد للرجال . ولكن لم يكن هذا النقد ذا فائدة كبيرة في ميدان التاريخ القبلي والقصص والإسرائيليات .

وآخر الأمر نجد التاريخ الإسلامي بجميع صورته يسير على النمط المعروف

عن الرواة الجاهليين ، من سوق القصة التاريخية ، وتقطيعها بالأشعار التي قد تشرح شيئا من الحوادث أو تعلق عليها ، أولا تنصل بها إلا اتصالا طفيفا وكذلك يعنون بسرد الرسائل والوثائق منذ أوائل عهدهم بالتاريخ .

وإذا ما أحببنا أن نتكلم عن أسلوب الكتب عامة ، وجدناه عربيا سهلا بسيطا مبينا ، ونجد تصوير الحوادث فيه وضوح وقوة وحياة ، حتى ليشعر المرء بالحوادث تقع أمامه ، لولا تقطع القصة بالأشعار والتكرار .

ولنختم كلامنا عن الكتابة التاريخية ، بذكر المدارس التاريخية التي ربما شعر بها القارئ من قبل . فإننا عند تدقيق النظر في تطور الحركة التاريخية نجد أن هناك ثلاث مدارس واضحة كل الوضوح .

١ - المدرسة الأولى في الظهور هي المدرسة اليمنية التي يمثلها ابن شربة ، ووهب ابن منبه . وهي المدرسة التي تظهر فيها الكتابة التاريخية العربية للمرة الأولى وهي تعنى بأخبار أهل الكتاب ، وتاريخ اليمن . وترد التاريخ قصصا خيالية وأساطير شعبية . فهي تمثل استمرار التيار الجاهلي أصدق تمثيل ، ولذلك نستطيع أن نطلق على مؤرخيها اسم القصاص الشعبيين ، أو الإخباريين * وعلى كتاباتهم اسم الروايات التاريخية .

٢ - والمدرسة الثانية مدرسة المدينة ، وهي تتألف من الفقهاء والمحدثين من أمثال أبان وعروة والزهرى . وهي مدرسة التاريخ العلمى الدقيق الذى يعنى بالسيرة والمغازى ، ويسير على خطى علم الحديث ، ويعنى بالأسانيد ، وتتطور مادة هذه المدرسة ، فتتسع وتشمل تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين .

٣ - أما المدرسة الثالثة والأخيرة في الوجود فمدرسة العراق ، التي يمثلها عوانة وأبو مخنف فيما بعد والكلبي وغيرهم . وهذه المدرسة واسعة الصدر تعنى بكل

تيارات التاريخ الجاهلي والإسلامي . وتعطى عناية خاصة لتاريخ الخلفاء ،
وكان من أثر عنايتهم تلك أن احتل العراق المركز الأول في هذه التواريخ ،
ولذلك نجد تاريخ العراق وأحداثه مفصلة مطولة لدينا ، بينما الأمصار الأخرى
لا تنال غير الإشارات .

ثم نجد هذه المدارس الثلاث تلتقي فتخرج لنا محمد بن إسحاق فيتناول
هذا المؤرخ تاريخ اليمن وأهل الكتاب مثل اليمنيين ، ويتناول السيرة مثل
المدنيين ، وتاريخ الخلفاء مثل العراقيين . بل نجد عنده خصائص المدارس
الثلاث ، من قصص شعبية ، وأسانيد ، وأشعار ، لتحلية القصص ، ومن أخبار
أهل الكتاب ، وبالاختصار جميع ما في المدارس الثلاث يوجد عند محمد
ابن إسحاق .

المراجع

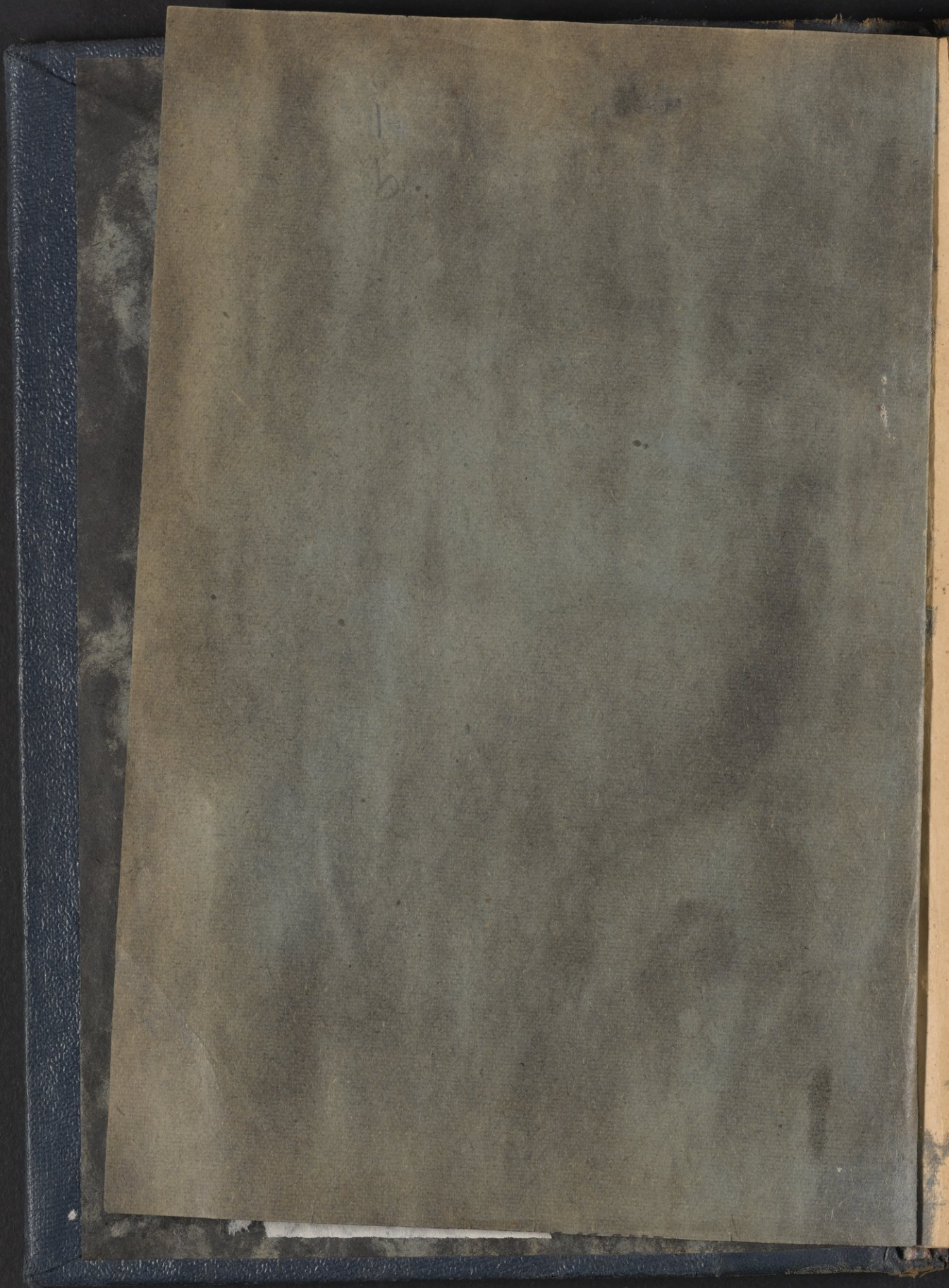
- ١ - يوسف هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة المؤلف .
- ٢ - دائرة المعارف الإسلامية ، مواد تاريخ ، وسيرة ، وأسماء المؤرخين .
- ٣ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ، طبع الهند .
- ٤ - الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، طبع لندن .
- ٥ - ابن سعد : الطبقات الكبير ، تحقيق سخاو .
- ٦ - ابن النديم : الفهرست ، طبع أوربا .
- ٧ - الذهبي : تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ، تحقيق فيشر .
- ٨ - ياقوت : معجم الأدباء ، وتحقيق مرجليوت .
- ٩ - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، طبعة الخانجي .
- ١٠ - مرجليوت : محاضرات عن التاريخ العربى :

Morgoliouth Lectures On Arabic History

- ١١ - عبد الحميد العبادى : علم التاريخ ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

فهرس

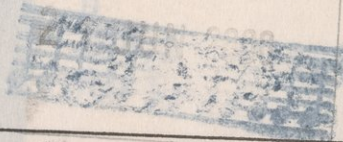
الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٩	أبان بن عثمان	٣	مقدمة
٣١	عروة بن الزبير		الفصل الأول - ظهور التدوين
٣٧	وهب بن منبه	٥	التاريخى : العصر الجاهلى
٤٨	عاصم بن عمر	٦	الأيام
٥٠	محمد بن مسلم الزهرى	٧	الأنساب - أخبار الأمم المجاوز
٥٣	موسى بن عقبة	٨	ظهور الإسلام
٥٦	سليمان بن طرخان	١٢	الفصل الثانى - المؤرخون وكتبهم
٦٠	عوانة بن الحكم	١٢	زياد بن أبيه
٦٣	محمد بن اسحاق	١٣	دغفل النسابة
	الفصل الثالث - مظاهر الكتابة	١٤	عبد الله بن عباس
٧٣	التاريخية	١٥	عميد بن شرية



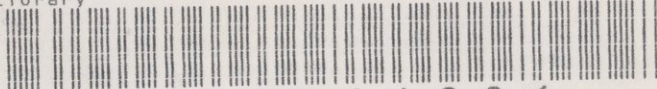
AUC - LIBRARY



DATE DUE

 A.U.C. 8 JAN 1995	
 A.U.C. 29 JAN 1995	
 A.U.C. JAN 1995	
 A.U.C. 30 JAN 1995	
 A.U.C. 	

The American University in Cairo Library October 31, 1994



0 0 0 0 0 3 1 1 6 3 1



